

وزار التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة



الرقم التسلسلي:.....  
رقم التسجيل:.....

كلية الآداب واللغات.  
قسم اللغة والآداب العربي.

# بلاغة السرد في سيرة فدوى طوقان الذاتية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير

الميدان: الآداب واللغات فرع: اللغة والآداب العربي تخصص: أدب عربي حديث

إشراف الدكتور:  
بركة ناصر

إعداد الطالبة:

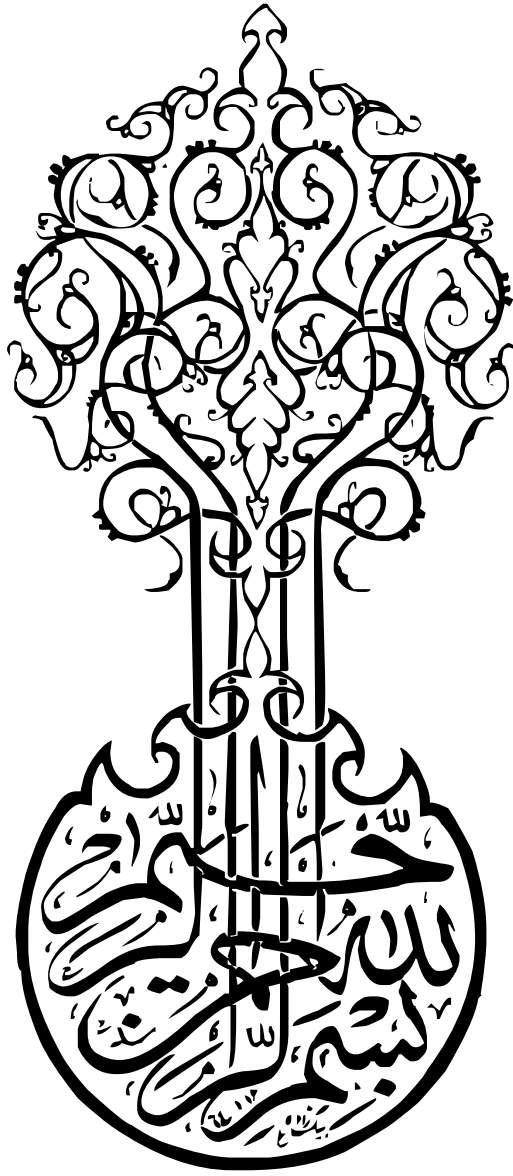
حيمر نادية.

تاريخ المناقشة:.....

أمام لجنة المناقشة:

.....  
.....  
.....

السنة الجامعية: 2015/2014



## كلمة شكر

أزقصر بالشكر الجزيل إله أسناني الفاضل الأستاذ **بركة ناصر** على مساعدته لي. فرغم انشغاله، والتمامه الكثرة فقد قبل الاشراف على هذنا العمل، و مراجه من جيبه، مع تقديمه لملاحظات قيمة أنارت لي طريق البحث و التقيي، فله كل عبارات الشكر و التقدير، عرفانا مني بالجميل.

## أهداء

إلى الوالدين العزيزين أطال الله عمرهما  
إلى زوجي الذي مهّد لي طريق البحث بتوفير ما يساعطني على المواصلة  
إلى أحابي: خولة، أحمد، أنس  
إلى العائلة الكريمة...الكبيرة والصغيرة  
إلى كل أساتذتي الكرام  
إلى صديقاتي و زملاء الدراسة  
إلى كل من ساندني من قريب أو بعيد  
كما أتوجه بأخلص التحيات والعرفان إلى الأستاذ الدكتور ناصر بركة  
كما أشكّر سلفاً الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة الموقرين، على  
ما سوف يتفضلون به من ملاحظات وتوجيهات.  
أهدي ثمرة جهدي المتواضع

# مقدمة

## مقدمة:

للنثر الأدبي أنواع عدة منها: المقالة، القصة، المسرحية، الرواية... والسيرة الذاتية وهذه الأخيرة تشكل نمطا متميزا في الفنون الأدبية، يجعلها موضوعا للدراسة في إطار الأدب الاعترافي، فقد عبر الأدب العربي عن واقع الحياة الاجتماعية في كل عصر من عصوره، وقد اشتهرت سير قديمة كسيرة عنتر بن شداد على سبيل المثال، كما بدأ اهتمام العلماء بالسيرة وذلك عندما كتبوا سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم... وقد أشار الأدباء العرب القدماء في كتاباتهم إلى السيرة الذاتية والسيرة الغيرية، فمن كتب السير الذاتية نجد سيرة ابن خلدون في كتابه "التعريف". وفي العصر الحديث نجد كتاب "الأيام" لطف حسين، وسيرة "حياتي" لأحمد أمين وغيرها من السيرة الذاتية.

وتعتبر سيرة فدوى طوقان شكل من أشكال السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث والتي تمثل نموذجا لأدب الاعتراف عند المرأة العربية، ويُعد الأدب النسوي ظاهرة أدبية حديثة ذلك أن السيرة الذاتية فن من الفنون الأدبية النسائية المستحدثة في الثقافة العربية تأثرت به نساء مبدعات من بينهن المرأة الفلسطينية المبدعة، إذ أن فدوى تفاعلت مع البيئة الثقافية والاجتماعية لفلسطين، فقد شهدت هذه الأخيرة أحداثا واضطرابات كفيلة باستثارة وعي الإنسان بذاته، مما ساعد على نمو الشعور بالذات والإحساس بالفردية. وكان الإنجاز الأدبي هو الوسيلة الأساسية للخروج من هموم الذات والانضمام إلى الجماعة، والدخول إلى مجال السياسة بدافع معالجة الهموم الشخصية في سيرة فدوى طوقان الذاتية.

وتعد السير الذاتية أحد الأشكال السردية، يُعد السرد أهم مكون من مكونات النص السير ذاتي، كما يُعتبر أولى الأدوات التي يستخدمها القاص لتحميل نصه بالمضامين والدلالات، وقد كان من أكثر المصطلحات القصصية إثارة للجدل، ذلك نتيجة الاختلافات

الكثيرة حول مفهومه ومجالاته المتعددة، فهو مرادف لمصطلح القصة تارة ولمصطلح الخطاب تارة أخرى.

هذا مع تنوع في طرائق وأساليب بناء المادة الحكائية، فلكل مبدع آلياته الفنية وتصويراته الجمالية التي لها تأثير في شكل و مضمون عمله الإبداعي.

لقد عُني الدارسون برصد جماليات فنون الشعر والرواية والمسرحية... إلا أن السير الذاتية مازالت حتى اليوم تفتقر افتقاراً شديداً إلى مثل هذه العناية، و لما كانت السيرة الذاتية فناً أدبياً له أهمية في حفظ حياة الأشخاص وتصوير معالم العصر الذي يعيشون فيه، خاصة إذا تعلق الأمر بالأدب الفلسطيني، فقد جاء هذا البحث تحت عنوان "بلاغة السرد في سيرة فدوى طوقان الذاتية" وفيه سنحاول أن نسلط الضوء على جماليات السرد في سيرة فدوى طوقان الذاتية بجزئها الأول والثاني (رحلة جبلية رحلة صعبة و الرحلة الأصعب).

وإذا كانت البلاغة التقليدية بلاغة معيارية تعليمية تربط فن البلاغة بالخطابة والإقناع والإمتاع والبيان، فإن البلاغة الجديدة قد تعاملت مع الخطابات النصية المختلفة تعاملًا علميًا و صفيًا.

فمع نهاية الخمسينيات بدأ الحديث عن البلاغة الجديدة التي تهتم بجماليات الإبداع الأدبي. ومع بداية السبعينيات بدأ الحديث عن الشعرية التي تلغي الحد الفاصل بين البنية ومحتواها، وظهرت أعمال في تحليل الخطاب السردية، تعنى بدراسة كيفية ظهور مكونات النص، وخصائصها المميزة التي يتميز من خلالها عمل أدبي عن آخر، فالصورة السردية وسيلة للتعبير الفني والجمالي عن قضايا اجتماعية...ومن ثم فهي طريقة للتصوير والوصف، مادتها اللغة وغايتها الوظيفة الفنية والجمالية.

أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع، فيرجع أولها إلى توجيه الأستاذ الفاضل لي.

وقلة التطبيق الإجرائي على فن السيرة الذاتية، وقلة الدراسات حول الأدب السنوي في

السيرة الذاتية النسائية.

والرغبة في البحث عن جماليات السرد في السيرة الذاتية عند فدوى طوقان.

### وتتلخص إشكالية البحث في السؤال المتفرع الآتي:

ما مفهوم السرد وما هي تقنياته الوظيفية؟

وما مدى حضور السرد كتقنية في السيرة الذاتية؟ وما هي الأبعاد الجمالية التي يشكلها في سيرة فدوى طوقان الذاتية؟

هذه الأسئلة يسعى البحث للإجابة عنها ، باعتماده الخطة التالية :

فقد تم تقسيم البحث إلى: مقدمة وفصلين يسبقهما مدخل وتليهما خاتمة.

أما المدخل، فعنوانه مفهوم السيرة الذاتية وعوامل تطورها وتطرقنا فيه إلى: مفهوم السيرة الذاتية لغة واصطلاحاً، ثم أنواع السيرة الذاتية فلهذه الأخيرة أشكالاً وأنواعاً مختلفة أهمها: السيرة الموضوعية، السيرة الذهنية، السيرة الذهنية الموضوعية، وفي عنصر ثالث تعرضنا، لدوافع الكتابة عن الذات وحصرتها في العناصر الآتية: دوافع عقلانية منطقية، تقديم شهادة، دوافع عاطفية، إيجاد معنى لوجود صاحب السيرة، رابعاً: وضعنا لمحة عن ظهور السيرة الذاتية النسائية في العصر الحديث وعوامل تطورها، وفي آخر المدخل (خامساً) تطرقنا إلى خصائص الكتابة السير ذاتية.

أما الفصل الأول: والمعنون بـ: "مفهوم السرد ومكوناته الوظيفية"، وتطرقنا فيه إلى:

أولاً: مفهوم السرد لغة واصطلاحاً، ثانياً: التيارات السردية وأنواعها: ورأينا أنه يوجد تيارين: تيار السردية اللسانية، وتيار السردية الدلالية، أما أنواعها فهي ثلاث أنواع: سرديات القصة سرديات الخطاب والسرديات النصية، ثالثاً: الأساليب السردية: الكلام المباشر، الكلام الحر المباشر، التقرير السردى لأفعال الحديث. الكلام الحر غير المباشر، وفي العنصر الرابع والمعنون بـ: الرؤية السردية أو أشكال التبئير تعرضنا فيه إلى أشكال التبئير عند كل من جينيت، وبويون، وتودوروف، ثم خامساً وأخيراً تطرقنا إلى مكونات السرد ووظائفه التقنية. ووجدنا أن البنية السردية للخطاب تتشكل من تضافر ثلاث مكونات هي: الراوي والمروي والمروي له.

وفي الفصل الثاني: والمعنون بـ: " في بلاغة السرد وجمالياته الوظيفية عند فدوى طوقان " وقد شمل هذا الفصل على آليات السرد الوظيفية:

أولاً: مجرى الأحداث وواقعيتها، ثانياً: جمالية حضور الشخصيات، ثالثاً: آلية التوظيف الزمني وفنياته، ورابعاً وأخيراً آلية توظيف اللغة الساردة، وفي هذا الفصل تم تحليل سيرة فدوى طوقان الذاتية.

وفي الأخير أفضت الدراسة إلى خاتمة تم فيها عرض أبرز النتائج التي تم التوصل إليها. وأخيراً ذيلنا البحث بملحق تطرقت فيه إلى وضع نبذة عن حياة فدوى طوقان وفي النهاية ذكرنا قائمة المصادر والمراجع و فهرس الموضوعات.

أما المنهج، فتعتمد الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي، الذي يبحث في كيفية رصد الظاهرة الأدبية وتحليلها في ضوء معطيات نقدية تتوافق وخصوصية الجنس الأدبي محل الدراسة، وقد اعتمدنا على هذا المنهج لسبر أغوار لنص السير ذاتي (سيرة فدوى طوقان) واستجلاء جمالياته، والبحث في تقنياته.

واستند البحث لمصادر ومراجع مختلفة للإجابة عن أسئلة البحث وأهم المراجع باللغة العربية نذكر: كتاب "في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد" لعبد الملك مرتاض وكتاب: "بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي" لحميد حميداني، وكتاب لمحمد مشرف خضر " بلاغة السرد في القرآن الكريم"، وكتاب "شعرية الخطاب السردى" لمحمد عزام وكتاب السيرة الذاتية في الأدب العربي لتهاني عبد الفتاح شاكر، وكتاب "السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر لأمل التميمي.

ومن المراجع باللغة الأجنبية (المترجمة)، نذكر: كتاب "نظريات السرد الحديثة" لوالاس مارتن وكتاب آخر لجيرار جينيت: "خطاب الحكاية بحث في المنهج" وكتاب لبان مانفريد "علم السرد مدخل إلى نظرية السرد".

هذا دون أن أنسى المصادر المعتمدة كمدونة لتحليل: "رحلة جبلية رحلة صعبة" و"الرحلة الأصعب" لفدوى طوقان.

وكل بحث لابد من وجود صعوبات تعترض طريق الباحث أثناء البحث منها: صعوبة الحصول على بعض المراجع المهمة واكتظاظ المكاتب لتزامن فترة إعداد رسائل التخرج بالإضافة إلى ندرة الكتب التي تتناول سيرة فدوى طوقان باستثناء بعض الكتب مثل كتاب تهاني عبد الفتاح وكتاب أمل التميمي، هذا بالإضافة إلى طبيعة الموضوع المتشعبة التي يصعب الإمام بكل جوانبها.

ولا يفوتني في ختام هذه المقدمة إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان وعظيم الامتنان وأسمى مشاعر التقدير والاحترام، إلى أستاذي الفضل الدكتور "ناصر بركة" الذي أشرف على هذا البحث وأحاطه بالعناية والاهتمام، كما لا أنسى كل من ساعدني على إتمام هذا العمل.

## الفصل التمهيدي:

### مفهوم السيرة الذاتية وعوامل تطورها

#### 1- مفهوم السيرة

أ- لغة

ب- اصطلاحاً.

#### 2- أنواع السيرة الذاتية

أ- السيرة الموضوعية

ب- السيرة الذهنية

ج- السيرة الذهنية الموضوعية

#### 3- دوافع الكتابة عن الذات

أ- دوافع عقلانية منطقية

ب- تقديم شهادة

ج- دوافع عاطفية

د- إيجاد معنى لوجوده

#### 4- السيرة الذاتية النسائية في العصر الحديث: عوامل ظهورها و تطورها

#### 5- خصائص الكتابة السير ذاتية

أ- الاستنكار و الذاكرة

ب- السرد و الأسلوب

ج- الحوار و الاستبطان الذاتي

د- الفضاء الزمكاني في الخطاب السير ذاتي

هـ- الطابع الانتقائي

و- تأثير الحقل الثقافي و رؤية الواقع الاجتماعي

ي- حضور الآخر في الخطاب السير ذاتي

## 1- مفهوم السيرة:

أ- لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور:

السيرة: الطريقة. يقال: سارَ بهم سيرةً حسنةً. والسيرة: الهيئة، وفي التنزيل العزيز: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾<sup>1</sup>. وسيرٌ سيرةٌ: حَدَّثَ أحاديث الأوائل<sup>2</sup>.  
والسيرةُ بالكسر: السُّنَّةُ، والطريقة، والهيئة، والميرة<sup>3</sup>.

يحفل مشهد الكتابة عن الذات في الأدب العربي الحديث بكَمٍ من المصطلحات التي تحمل مدلولاً واحداً من قبيل: الترجمة الذاتية، الترجمة الشخصية، السير الذاتية، السيرة الذهنية.

يقابل بطرس البستاني في دائرة المعارف بين مصطلح "سيرة" واللفظ الفرنسي (Ethnographie) قائلاً: «السَّير: جمع سيرة، وهي في الأصل الطريقة مطلقاً، ثم غلبت على أخبار الناس ثم على أحوال النبي صلى الله عليه و سلم وطرائفه، ويقابلها عند الإفرنج لفظة: أثنوجرافيا، اليونانية اشتقاقاً ومعناها: وصف الشعوب»<sup>4</sup>.

وفي معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة فضل سعيد علوش تعريب مصطلحي (Biographie) و (Autobiographie)، بدل ترجمتها وذلك على النحو التالي: بيوغرافيا: ويحددها بإشارات ثلاث مقتضيات:

- هي ترجمة ذاتية تلاحق حياة شخصية أدبية.

- فن ترجمة الحياة الأدبية.

- جنس أدبي يتمّص حياة الكاتب منذ طفولته إلى اكتمال نضجه الأدبي يقصد الإلمام بالمكونات الأولى للكتابة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- سورة طه، الآية:21.

<sup>2</sup>- ابن منظور: لسان العرب، ج6، ط1، دار الأبحاث، الجزائر، 2008، ص427، مادة سير.

<sup>3</sup>- الفيروز آبادي الشيرازي الشافعي: القاموس المحيط، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995، ص120.

<sup>4</sup>- عبد الله التوفيق: السيرة الذاتية في النقد العربي الحديث والمعاصر - مقارنة في نقد النقد- ، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، 2012، ص19/16

<sup>5</sup>- المرجع نفسه، ص20.

## الفصل الثماني: مفهوم السيرة الذاتية وعوامل تطورها

ويورد مؤلفا معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب " مجدي وهبة" و " كامل المهندس" مصطلح "سيرة" مقابلاً للفظ الإنجليزي (Biography) ويعرفانه بقولهما: تاريخ الحياة و ترجمة الحياة<sup>1</sup>.

تذهب الموسوعة الأمريكية إلى أن "كارلايل" قد وضع أوجز تعريف سيرة في قوله: «إن السيرة حياة إنسان».

مع أن النقد العربي الحديث قد استوعب التفرقة بين المصطلحين الغربيين المركبين تركيباً مزجياً، فحكما لفظاً وقال «السيرة الغيرية» لـ **Biography**، والسيرة الذاتية لـ **Autobiography**...<sup>2</sup>، واتخذت السيرة أشكالاً عديدة، الأمر الذي يؤدي بنا إلى القول: إن التمييز بين الأنواع الأدبية الأخرى من جهة ، وتحديد الفوارق بين نوعيها الغيري، والذاتي من جهة أخرى، لا يكون من حيث المادة الموضوعية فحسب ، بل أيضاً من حيث التقنية والوظيفة<sup>3</sup>.

ويمكن القول إن السيرة الذاتية نقل مباشر، أما السيرة الغيرية – أي ترجمة حياة الآخرين – فإنها نقل عن طريق الشواهد و الشهادات والوثائق<sup>4</sup>.

أما القواميس اللغوية التعليمية الحديثة فإنها لا تتفرد بشيء جديد عن سابقتها (القواميس اللغوية القديمة)، إذ تورد مصطلحي ترجمة و سيرة معاً بحسب حرف ابتدائهما، الأول في حرف التاء والثاني في حرف السين، وتعتمد إلى إقرانهما بنفس التعريف.

وتبرز المفارقة الكبرى بين هذه القواميس التعليمية في نوع المقابل العربي الذي به صيغة النسبة الفرنسية **Autobiographique**. فبعض القواميس تترجمها في صيغة تركيب مزجي سير ذاتي في حين تفضل أخرى ترجمتها بسير ذاتي.

أمّا باقي المعاجم فإنها تلتزم التحفظ كثيراً في صيغة التعامل مع هذا المصطلح، وتترجمها بإحدى الصيغتين: متعلق بالسيرة الذاتية أو خاص بالسيرة الذاتية غير

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص 21.

<sup>2</sup>- عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، ط1، مؤسسة الإسراء للنشر و التوزيع، القاهرة، 1998، ص3.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص4.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، ص6/5.

أبهة بما تتسم به صيغة الجملة هذه من و طول وهلهة يعيق التداول السريع واليومي وبعدها عن عملية المصطلح النقدي<sup>1</sup>.

ب- اصطلاحاً:

تعرف السيرة اصطلاحاً بأنها: "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية و على تاريخ شخصيته، بصفة عامة".  
يعرض هذا الحد عناصر تنتمي إلى أربعة أصناف مختلفة:

1- شكل اللغة:

- حكي.

- نثري.

2- الموضوع المطروق: حياة فردية، وتاريخ شخصية معينة.

3- وضعية المؤلف: تطابق المؤلف (الذي يحيل اسمه إلى شخصية واقعية).

4- وضعية السارد:

- تطابق السارد والشخصية الرئيسية.

- منظور استعادي للحكي<sup>2</sup>.

فلكي تكون هناك سيرة ذاتية (و أدب شخصي بصفة عامة) يجب أن يكون هناك تطابق بين المؤلف والسارد والشخصية غالباً ما يتحدد تطابق السارد والشخصية الرئيسية الذي تفترضه السيرة الذاتية، من خلال استعمال ضمير المتكلم، وهو ما يطلق عليه جيرار جينيت السرد "القصصي الذاتي"<sup>3</sup>.

وتقترح تهاني عبد الفتاح شاكر في كتابها السيرة الذاتية في الأدب العربي تعريفاً للسيرة الذاتية يعتمد على تعريف لوجون، مع بعض التعديلات، "وهو أنها حكي استعادي نثري، يتسم بالتماسك، والتسلسل في سرد الأحداث يقوم به شخص واقعي عن وجوده

<sup>1</sup> ينظر: عبد الله توفيق: السيرة الذاتية في النقد العربي الحديث والمعاصر. مقارنة في نقد النقد، ص24.

<sup>2</sup> ينظر: فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، 1994، ص23/22.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 24.

## الفصل التمهيدي: مفهوم السيرة الذاتية وعوامل تطورها

الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة، ويشترط فيه أن يصرح الكاتب بأسلوب مباشر أو غير مباشر أن ما يكتبه هو سيرة ذاتية<sup>1</sup>.

تتميز السيرة الذاتية بمفهوم منفتح على الاحتمالات والتعددية في المعاني، لهذا استعصى على كثير من الدارسين في محاولة تبويبها وتصنيفها، بالنظر إلى ما تقدمه من زخم دلالي متنوع تتداخله مداليل كثيرة، بعضها اهتم بالتحديد المعجمي للسيرة الذاتية وتطورها التاريخي، وبعضها الآخر زواج بين الأمرين، وحاول تحديد بعض المكونات الفنية للسيرة الذاتية<sup>2</sup>.

إن السيرة الذاتية -بناء على ماسبق- حكي يقوم به الكاتب السارد شخصيا عن تاريخ حياته، ويكون الراوي والموقع للكاتب هو نفس الشخص، حيث يتم التطابق بين هوية الكاتب والراوي والشخصية الرئيسية<sup>3</sup>.

إن اختلاف التعريفات في الحدود الأدبية والتاريخية اتفقت عموما على أن السيرة الذاتية تحكي التجربة الفردية والاجتماعية التي جرت أحداثها في الماضي ففي قاموس أوكسفورد كانوا قد أجزوا تعريفا للسيرة الذاتية بأنها: "كتابة الشخص لتاريخه، قصة حياته بقلمه" وغالبية الذين تناولوا الكتابة السير ذاتية وتوسعوا نسبياً، في تعريفهم لها لم يذهبوا بعيدا عن ذلك، ووقفوا طويلاً عند الملامح العامة لها ومرددين ما قاله من سبقوهم في عناوين السرد.

ويقول الدكتور محمد الباردي: "إن السيرة الذاتية هي حكي استعادي نثري بأشكال سردية متنوعة يقوم بها شخص واقعي عن وجوده الخاص والعام وذلك عندما يركز على حياته الفردية والجماعية، وعلى تاريخ شخصيته الجزئي والكلي"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكور: السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا، وإحسان عباس، نموذجاً ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان ، 2002 ، ص16.

<sup>2</sup>- محمد أولحاج: بيداغوجيا تحليل الخطاب السيرة الذاتية المكونات و الروافد، ط1، منشورات Top édition، 2006، ص18.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص19.

<sup>4</sup>- نصيرعواد: إعادة إنتاج الحادثة دراسة تطبيقية في الكتابة السير ذاتية، ط1، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية 2009، ص 72.

وكتابة السيرة الذاتية هي فن الذاكرة الأول، لأنها الفن الذي تجلي فيه الأنا حياتها صراحة وعلى نحو مباشر، مسترجعة هذه الحياة في امتدادها الدال، أو في وقت بعينه من أوقات هذا الامتداد وله مغزاه الخاص، وذلك من منظور لحظة حاسمة من لحظات التحول الحدي في عمر هذه الأنا<sup>1</sup>.

والسيرة الذاتية الشكل الأهم من شكلي السيرة يتكفل فيه الراوي السير ذاتي رواية أحداث حياته، ويجري التركيز فيها على المجال الذي تتميز فيه شخصيته الحيوية كأن يكون المجال الفني أو الاجتماعي أو السياسي أو العسكري... إلخ، كلما كان ذلك ضرورياً وممكناً، ويسعى في ذلك إلى انتخاب حلقات معينة مركزة من سيرة هذه الحياة. وحشدها بأسلوبية خاصة تمن له صناعة نص سردي متكامل ذا مضمون مقنع ومثير ومسل، ويحاول الراوي السير ذاتي الإفادة من كل التقنيات والآليات السردية لتطوير نصه السير ذاتي، ودعمه ما أمكن بأفضل الشروط الفنية، على أن لا تخل بالطابع السير ذاتي العام حتى لا يخرج النص إلى فن سردي آخر... وترتكز السيرة الذاتية على آلية السرد الاسترجاعي، التي تقوم بتفعيل عمل الذاكرة وشحنها بطاقة استنهاض حرة وساخنة لمخزونها الذاكراتي المرشح للعمل في الحقل السير ذاتي<sup>2</sup>.

والسيرة الذاتية في أبسط تعريفاتها أيضاً، « نص سردي توثيقي حقيقي »<sup>3</sup>.

وهي ما يكتبه الكاتب عن نفسه سرداً للأحداث التي مرت به في حياته المختلفة، مثل الأيام "لطه حسين"<sup>4</sup>.

وتقترح أمل التميمي في هذا الصدد تعريفاً للسيرة الذاتية إذ تعتقد أنها: « تسجيل كتابي أو شفاهي يدون كتابةً، ويقوم فيه شخص واقعي بشكل معلن، في عمر ناضج نسبياً، باستعادة موقف أو مواقف من خبراته، أفعاله، تفاعلاته و أحاسيسه، مرتبطة بدور

<sup>1</sup> جابر عصفور: زمن الرواية، مهرجان القراءة للجميع، د/ط، جمعية الرعاية المتكاملة، 1999، ص195.

<sup>2</sup> محمد صابر عبيد: مظهرات التشكل السير ذاتي قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية، ط1، عالم الكتب الحديث (إربد) الأردن، 2010، ص196/195

<sup>3</sup> صالح معيض الغامدي: كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2013، ص 126.

<sup>4</sup> محفوظ كحوال: الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، دار نوميديا للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص75.

فاعل له في الزمان و المكان الذين يعيش فيهما. على أن تكون بواعث هذه الكتابة هي السبيل في تنظيم الذكريات وتحديد نوعية الكتابة»<sup>1</sup>.

ويُستعمل مصطلح السيرة الذاتية لما يكتبه الكتاب بأقلامهم، مع العلم بوجود سير لشخصيات أدبية أو فكرية كتبها مؤلفون غيرهم، وهذه السير التي يكتبها غير أصحابها تدرج في إطار الترجمة للتمييز بين الشكليين، فثمة استعمالات للمصطلحين تأتي بنفس الدلالة، والسيرة ليست ظاهرة خطابية جديدة، فقديمًا كتب الغزالي وابن خلدون سيرتهما، أم في العصر الحديث فقد كثر كتابها، (أنا للعقاد، سبعون لميخائيل نعيمة، حياتي لأحمد أمين، حياتي لتوفيق الحكيم...) وأكثر حداثة منها سير الشعراء (صلاح عبد الصبور، البياتي، نزار القباني، أدونيس، فدوى طوقان... إلخ)<sup>2</sup>.

ومن بين المشاكل التي تطرحها السيرة الذاتية في النظرية النقدية الحديثة الاهتمام بماهية السيرة وبدايات ظهورها كفن في الآداب العربية والغربية، وإيجاد مقومات الجنس الأدبي بين الأجناس الأدبية، ومحاولة إيجاد تعريف يتناسب مع الحدود المبدئية لتصنيف السيرة الذاتية كجنس له هويته إذ تنوعت التعريفات وتعددت المصطلحات للدلالة على مفهوم السيرة الذاتية بمترادفاته المتعددة التي تدور جميعها حول مفهوم أساسي واحد هو تاريخ الحياة الفردية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أمل التميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005، ص

28.

<sup>2</sup> - عبد الله العشي: زحام الخطابات مدخل تصنيفي لأشكال الخطابات الواسفة، د/ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2005، ص 106/105.

<sup>3</sup> - ينظر: أمل التميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، ص23.

### 2- أنواع السيرة الذاتية:

وتتضمن السيرة الذاتية أشكالاً وأنواعاً مختلفة، أهمها:

أ- **السيرة الموضوعية:** إذا كان موضوع السيرة الذاتية هو الذات، حيث يتطابق المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية، فإن موضوع السيرة الموضوعية هو الآخر، حيث يقوم السارد بحكي حياة إنسان آخر ورصد ظروف نشأته متتبعا مراحل تطور حياته وانتقالاته في الزمان والمكان، ولذلك تسمى أيضا بالسيرة الغيرية<sup>1</sup>.

ب- **السيرة الذهنية:** هي السيرة التي يستعيد فيها الكاتب مراحل حياته الفكرية والثقافية والتعليمية، ويعرض فيها مسارات تعلمه وتربيته الذهنية والوجدانية، وما أثر في شخصيته الفكرية من تيارات ثقافية وفلسفية وما عاشه من تحولات فكرية ونفسية<sup>2</sup>.

ج- **السيرة الذهنية الموضوعية:** وهي التي تهتم برصد تطور شخصية فكرية معروفة تستأثر بالاهتمام ويقطب من أقطاب التأليف والفكر الذي يحظى بمقومات وقيم تميزه عن غيره من الأعلام، يقوم السارد فيها برصد مساره التعليمي والثقافي والمعنوي، ويتتبع أطوار حياته من نشأته وطفولته إلى وفاته<sup>3</sup>.

### 3- دوافع الكتابة عن الذات:

وقد وقف جورج ماي **Georges may** عند أهم هذه الدوافع وحصرها في العناصر الآتية:

أ- **دوافع عقلانية منطقية:** وتتجلى في التبرير والدفاع: تبرير المواقف والأفعال والأعمال والأفكار التي جهر بها الكاتب، وتصحيح وتعديل وتكذيب الادعاءات والمزاعم الوهمية التي كان عرضة لها.

ب- **تقديم شهادة:** أي جعل حياته الماضية - لسبب أو آخر - شهادة متميزة يجب أن لا تختفي بوفاته لما تشكله شهادته من أهمية للآخرين.

<sup>1</sup>- ينظر: محمد بوعزة: تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ص34.

<sup>2</sup>- ينظر: المرجع نفسه، ص34.

<sup>3</sup>- ينظر: المرجع نفسه، ص35.

ج- دوافع عاطفية: وتتجلى في الإحساس بلذة استرجاع الذكريات القديمة، وإعادة إحياء الماضي السعيد، ولاسيما ذكريات الطفولة \_ مقارنة مع الحاضر المؤلم.

د- إيجاد معنى لوجوده: حيث تتولد الرغبة في استرجاع شريط الحياة الماضية لكي يتمكن في الأخير من فهمها من جهة ولتتقوى ويتشجع من جهة ثانية رغم كل الأحداث والتناقضات التي عرفت مسيرته<sup>1</sup>.

وفي كل الأحوال، لا تخرج دلالة ودوافع الكتابة عن الذات عن سياق العناصر التي حددتها أولين لوسو **Adeline Lesot** للسيرة الذاتية عموماً، أهمها:

- كون السيرة الذاتية شهادة موجهة للجمهور.
- أن السيرة الذاتية هي مرآة يرى فيها الكاتب نفسه.
- الكاتب يفصح للقارئ عن مقاصده (الكتابة للأجيال الآتية والقادمة)، ويعلن عن موضوع كتابته، وهو تصوير ذاته.

- النص السيرداتي يقدم ثلاث خدمات متكاملة هي: مساعدة الكاتب على معرفة ذاته بعمق، والتعبير عن تطلعاته وأحلامه، ونقل شهادة إلى الأجيال القادمة، والكاتب بصفة عامة لا يهدف فقط إلى معرفة هويته، ولكن لمعرفة ماذا كان، فكتابة حياته بالنسبة إليه وسيلة للتذكر، وتحليل فقط لمعرفة حالاته النفسية والثقافية والفكرية<sup>2</sup>.

إن التعريف الذي حدد به " فيليب لوجون" السيرة ينطبق تمام الانطباق على السيرة الذهنية...<sup>3</sup>، ويعمد الكاتب في سيرته الذهنية على استرجاع أطوار حياته الفكرية والثقافية مبينا ما قطعه من مراحل، وما اعترضه من عراقيل ومصاعب، وما عاشه من ترددات وتقلبات واضطرابات، ومامنحته من الروافد الثقافية والتيارات الفكرية الإيديولوجية المتباينة، ومن بين الأعمال التي تدرج في هذا الصنف نذكر مايلي: المنقذ من الضلال "للغزالي"، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا والفوائد الجمّة" لعبد الرحمن التمارتي

<sup>1</sup>- ينظر: محمد أولحاج: بيداغوجيا تحليل الخطاب للسيرة الذاتية المكونات والروافد، ص10/9.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 14/13.

<sup>3</sup>- محمد الداوي: شعرية السيرة الذهنية، تقديم سعيد يقطين، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص 17 .

وأوراق العمر "للويس عوض"، وسجن العمر "لتوفيق الحكيم"، ورحلة جبلية رحلة صعبة " لعدوى طوقان"<sup>1</sup>.

#### 4- السيرة الذاتية النسائية في العصر الحديث: عوامل ظهورها و تطورها:

من تجليات دمقرطة الكتابة عن الذات أن دائرتها اتسعت لتستقطب الإبداعات النسائية التي كان فيما مضى، يُنظر إليها بازدراء واستخفاف، فهي، لبواعث سياسية واجتماعية، لم تبق حكرا على الرجل بل أصبحت مع مرالسنين، نصيبا مشتركا يتقاسمه الجنسان للكشف عن الهوية البشرية وسريرتها. واستطاعت المرأة بفضل قدراتها الحكائية واللغوية، أن تفرض نفسها في مجال الأدب بصفة عامة وفي مجال الكتابة عن الذات بصفة خاصة، ومن بين الكاتبات اللواتي تألقت في المجال السير ذاتي نذكر على سبيل المثال لا الحصر: مارغريت دوراس (العاشق)، وكوليت (تعلماتي)، وسيمون دييوفار (الجنس الثاني وثورة الأشياء) وجورج صاند(أعمال سير ذاتية تاريخ حياتي)، ونوال السعداوي(أوراق حياتي)، وعدوى طوقان (رحلة صعبة:رحلة جبلية، ثم الرحلة الأصعب) ويلي أبو زيد (رجوع إلى الطفولة) ولطيفة الزيات (أوراق شخصية)<sup>2</sup>.

فمن المعروف تاريخيا أن مصطلح السيرة الذاتية حديث النشأة في الأدب العربي الحديث، ويتفق مؤرخو السيرة الذاتية إجمالا على أنه قد نشأ في أوروبا وأنه ينتمي إلى الثقافة الغربية.

وإذا كانت بداية ظهور السيرة الذاتية في الأدب العربي تؤرخ بدخول مصر والدول الغربية في دور حضارة جديدة؛ إذ بدأت اتصالها بالغرب منذ أن أفاقت من سباتها حيث احتكت بالفرنسيين وقت دخولهم إلى مصر، وحين بدأ محمد علي يرسل بالبعثات العلمية إلى فرنسا فيمكننا أن نؤرخ للسير الذاتية النسائية العربية بعد دخول المرأة العربية عالمي العلم والكتابة

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص 21/20.

<sup>2</sup>- محمد الداوي: الحقيقة الملتبسة قراءة في أشكال الكتابة عن الذات، ط1، شركة النشر و التوزيع المدارس، الدار البيضاء 2007، ص82/83.

وقد استغرق هذا الدخول وقتا وجهدا كبيرين؛ فالمعوقات التي تواجه المرأة الكاتبة في مجتمعنا العربي أعقد بكثير من تلك التي تواجه الرجل الكاتب<sup>1</sup>.

وعليه فهناك عوامل دعت المرأة العربية إلى كتابة ذاتها في ظل الصحوة العربية وانتشار التعليم والاتصال بالثقافة الغربية. ولعلنا نبدأ من أهم عامل يكون أدعى لنا في تفهم تاريخ ظهور جنس السيرة في كتابات المرأة العربية في ظل الظروف التاريخية التي ساعدت على نشوئها، فقد ربط خطاب النهضة المصرية بين قضايا المرأة وقضايا الحداثة وتولت حملة نابليون علامة مرجعية لمسألة الحداثة والتحديث في علاقته بقضايا المرأة الحالية<sup>2</sup>.

وفي نهاية القرن التاسع عشر ومع مطلع القرن العشرين نجد قاسم أمين (1863-1908) يطالب بتحرير المرأة من الجهل والحجاب والسجن، وأحدث كتاباه تحرير المرأة (1899) والمرأة الجديدة (1900) ضجة كبيرة، وكانت دعوته تجديدية شاملة، ويمكننا أن نجزم أن المرأة العربية في مصر ولبنان على الأقل منذ هذا التاريخ وهي في عهد جديد<sup>3</sup>. كانت المرأة إذاً في القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين قضية، شغلت كثيرا من الكتابات، وكانت قضية تعليمها وتحريرها من الجهل هي أهم قضية أثارت الكثير من البحوث... فلا بد أن نربط بين كتابة المرأة عن ذاتها بحركة تحرير المرأة في العالم الحديث... والمهم أن نشير إلى نقطة مهمة وهي ظهور هذا النوع من الكتابة وتطوره في كتابات المرأة العربية أخذ في جميع أقطار الوطن العربي تقريبا شكلا واحدا وهو اتخاذ المرأة المقالات الشخصية وسيلة للتعبير وتكون هي البدايات، والسير الذاتية التي كتبت في هذه الفترة تنقل إلينا جانبا مهما من حركة تحرير المرأة التي لفتت أنظار الكثير من الرائدات الثوريات، ولعل من أوائل الكاتبات زينيا اللاتي مارسن فن السيرة الذاتية مي زيادة ونبوية موسى<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أمل التميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، ص 29.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 30/29.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وإذا انتقلنا إلى المرحلة الثانية من كتابة السيرة الذاتية النسائية العربية فإننا نلاحظ أن النتاج النسائي لفن السيرة في هذه الفترة يتردد بين الخواطر الصحفية في بعض الأقطار والأدب الفني الرفيع في بعض الأقطار الأخرى...<sup>1</sup>.

لقد أبرزت السيرة الذاتية النسائية مسيرة كفاح المرأة العربية وحفظت لها مواقفها وأبرزت كل ما يرتبط بالصراع السياسي والاجتماعي وفكرة الحرية إلى جانب الكتابات الإبداعية فكتبت المرأة عن حياتها بأشكال مختلفة: فمنهن من اهتمت بتسجيل يومياتها وأخريات اعتنيت بالمذكرات المهنية ومسيرتهن التعليمية، وأخريات ركّزن على التجارب القاسية وتحدثن عن معاناتهن الشخصية، على كل حال تعددت الأشكال السيرية التي كتبت بها المرأة عن حياتها من يوميات ومذكرات واعترافات وأدب رحلة ومقالة شخصية ورسائل.<sup>2</sup>

وإذا اعتبرنا أن أوائل الخمسينيات مرحلة جديدة لفن السيرة النسائية، فمن الملاحظ غزارة التدفق الإنتاجي منذ أوائل الثمانينات، كما مكننا اعتبار مصر وسوريا ولبنان من أول الأقطار العربية الرائدة لظهور هذا الفن، إذ لعبت الأحداث السياسية دورا كبيرا في تطور هذا الفن الجديد من كتابات المرأة حيث أدى اختلاف الوضع الإيديولوجي للمرأة في بعض الأقطار العربية إلى تطور هذا الفن، وهو تطور مرتبط في معظم الأحيان بدخول المرأة ميداني العلم والعمل.

يمكننا أن نعتبر مطلع الثمانينيات بداية مرحلة النضج الفني للسير النسائية العربية، إذ بدأ ظهور نماذج من السير النسائية التي تنطبق عليها إلى حد كبير شروط السير الذاتية كفن ونوع أدبي، حيث ظهرت بعض الأعمال التي تتناول جوانب متعددة وشبه كاملة عن كتاباتها كسيرة فدوى طوقان رحلة جبلية رحلة صعبة (1985)، وسيرة نوال السعداوي أوراقى حياتي (1998).<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص35.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص37/36.

## 5- خصائص كتابة السيرة الذاتية:

أ- الاستذكار والذاكرة<sup>1</sup>: على الرغم من أن الذاكرة وسيلة لا تحقق كليا مصداقية ما يتذكره الإنسان، فإنه لا يمكن الاستغناء عنها في الكتابة السير ذاتية، وكما يرى جورج ماي **Georges May** فإن ما يهم في الغالب بالنسبة لكاتب سيرته، ليس الحدث التاريخي الذي تحدث عنه السيرة، ولكن الذكرى التي احتفظت بها الذاكرة وإن كانت منحرفة وغير كاملة.

يقول الجابري في تقديمه لسيرته: « يحتفظ الناس عادة في أذهانهم ووجدانهم بذكريات عن طفولتهم الأولى، ولكنهم في الغالب لا يستطيعون ترتيبها ترتيباً زمنياً، فذكريات الطفولة تمثل في الذهن والوجدان عند استدعائها متزامنة متزاحمة، وكأنها حاضر سابق لكل زمان». ويعني ذلك أن العناصر موضوع التذكر، أفكار منتقاة ومختزلة بواسطة الذاكرة واستحضار أحداث الطفولة عن طريق التذكر، يتأثر بحالة الكاتب أثناء الكتابة ومهما كانت الأسباب التي تدفعه إلى سرد أحداث الطفولة، فإن كاتب سيرته، يختار ويرتب ذكرياته لهدف محدد، هو تأكيد شيء ما، أو تبرير عمل ما ولهذا نصادف دون انقطاع كثيراً من الأفكار والملاحظات التي يبيدها السارد عن ماضيه، وهذه الأفكار تقطع خطية السرد و تسلسل الأحداث.

## ب- السرد و الأسلوب<sup>2</sup>:

يتحدد مفهوم السرد في كونه الطريقة التي يروي بها الكاتب أحدث سيرته، ونقلها من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية، وبما أن السرد وظيفة مشتركة بين السيرة الذاتية وغيرها من الأجناس التعبيرية التي تخضع لمنطق الحكيم والقص الأدبي، فإن السؤال المطروح هو: كيف تتشكل عملية السرد في الخطاب السير ذاتي؟

<sup>1</sup>- ينظر: محمد أولحاج: بيداغوجيا تحليل الخطاب السيرة الذاتية المكونات والروافد، ص63/65.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص67/68.

هناك طريقتان أساسيتان:

**الأولى:** تتعلق بالسرد المتصل الذي يتتبع فيه الكاتب مختلف مراحل حياته الخاصة.  
**والثانية:** تتعلق بالسرد المنفصل أو المنقطع، وهو الذي يظهر فيه الكاتب إما معلقاً أو مفسراً، بحيث يتدخل في عملية السرد بوصفه راويًا مسجلاً لتجربته الحياتية الخاصة. وقد يتوسل الكاتب بطرق ووسائل أسلوبية متنوعة، على اعتبار أن الأسلوب هو الآخر طريقة لبناء الموضوع، وطريقة للصياغة اللغوية، ووسيلة للتعبير بوساطة الكلمات والتراكيب. ويمكن حصر أنماط الأساليب التي يوظفها كاتب السيرة الذاتية في العناصر التالية:

- السرد القصصي.
- الحوار المباشر وغير المباشر.
- التأمل و المناجاة الداخلية.
- عرض الأسئلة والاستفسار والتعليق.

### ج- الحوار و الاستبطان الذاتي:

تُعدُّ تقنية الحوار من الأساليب التي تحضر بكثافة في بناء الخطاب السير ذاتي، وقد أصبح عملية متداولة في كثير من نماذجه ولعل التركيز على تقنية الحوار السير ذاتي هو وسيلة للحفاظ على واقعية الأحداث، وجعل الخطاب أكثر حيوية و درامية<sup>1</sup>.

### د- الفضاء الزمكاني في الخطاب السير ذاتي:

يُقصد به الحيز الزماني والمكاني حيث تتمظهر الأحداث والشخصيات والوقائع المُتحدِّث عنها في الخطاب السير ذاتي، وتتجلى مظاهر الاهتمام بالفضاء الزمكاني في رسم خلفية للمحيط الذي تجري فيه الأحداث، وتتبع مسارها الزمكاني، مع الاحتفاظ بالظهور المستمر للذات في هذا الفضاء الذي لا يوصف لذاته، وإنما لدوره في التعبير عن حياة الكاتب والفضاء البيئي الذي نشأ فيه.

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص69.

أما السيرة الزمنية فتتمظهر في الخطاب السير ذاتي، في محاولة تقديم الفرد في علاقاته الزمنية وإيجاد ترتيب لمراحل الحياة الماضية<sup>1</sup>.

#### هـ- الطابع الانتقائي:

تفرض السيرة الذاتية استرجاع الماضي بواسطة التذكر أو الذاكرة، وهذا العمل هو في الأصل اختيار: فذاكرة الكاتب لا تحتفظ إلا بالأشياء التي أثرت تأثيرا ملحوظا وقويا في حياته، سواء أكانت مفرحة أم محزنة، والسبب في ذلك هو الطبيعة السيكلوجية للذاكرة الإنسانية: سهولة النسيان<sup>2</sup>.

#### و- تأثير الحقل الثقافي و رؤية الواقع الاجتماعي:

بما أن الكتابة - حسب بعض التصورات- تؤدي وظيفة اجتماعية، وتمثل سمات المجتمع الذي ينتمي إليه الكاتب؛ إلا أن بعض الدارسين يرى أن: اهتمام كاتب الترجمة بالأحداث العامة، وتيارات البيئة لا يُضعف من بناء الترجمة الذاتية، ولا ينال من قيمتها، فهذا الاهتمام يمثل بصدق مدى إحساس الكاتب بالجو الذي يعيش فيه، واستجابته له أو تمرده عليه أو بمعنى آخر، يمثل موقفه من عصره بيئة وزماناً<sup>3</sup>.

#### ي- حضور الآخر في الخطاب السير ذاتي:

يندرج حضور الآخر في الخطاب السير ذاتي، ضمن العلاقة الاجتماعية التي يربطها صاحب السيرة الذاتية مع الآخرين، فهو لا يعيش في عزلة عن العالم الخارجي أو المجتمع بل نجده يخوض في علاقات اجتماعية كثيرة، ولكي يحقق الكتاب مشروعه في إنارة سيرة حياته، يتبنى موقف الآخرين منه، و وضع نفسه إزاء غيره وهي ظاهرة بارزة في الخطاب السير ذاتي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص 77/76.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 79.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص 84/83.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، ص 84.

## الفصل الأول:

### مفهوم السرد ومكوناته الوظيفية

أولاً- مفهوم السرد

أ- السرد لغة

ب- السرد اصطلاحاً

ثانياً- التيارات السردية وأنواعها

أ- التيار الأول

ب-التيار الثاني

ثالثاً- الأساليب السردية

أ- الكلام المباشر

ب-الكلام غير المباشر

ج- الكلام الحر المباشر

د- التقرير السردى لأفعال الحديث

هـ- الكلام الحر غير المباشر

رابعاً- الرؤية السردية

خامساً- مكونات السرد ووظائفه التقنية

أولاً- مفهوم السرد:

أ- السرد لغة:

سرد: السردُ في اللغة: تَقْدِمَةُ شيء إلى شيء تأتي به متنسفاً بعضه في أثر بعض متتابعاً. سرد الحديث ونحوه يَسْرُدُهُ سَرْداً إذا تابعه، وفلان يَسْرُدُ الحديث سرداً إذا كان جيد السياق له. وفي صفة كلامه، صَلَّى اللهُ عليه وسلّم: لم يكن يسرُدُ الحديث سرداً أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرَدَ القرآن: تابع قراءته في حذر من هو السرد: المتتابع<sup>1</sup>.

ب- السرد اصطلاحاً:

السرد (Narration) هو الطريقة التي تُحكى بها القصة، ذلك أن الحكيم يقوم على دعامتين: أولاهما أن يحتوي على قصة تضم أحداثاً، وثانيتهما أن يعين الطريقة التي تحكى بها تلك القصة، وهذه الطريقة هي السرد. فالقصة لا تتحدد بمضمونها فقط ولكن أيضاً بالطريقة التي يُقدم بها ذلك المضمون<sup>2</sup>.

السرد هو الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض متعلق بالقصة ذاتها.

الراوي — القصة — المروي له<sup>3</sup>. والسرد فعل لا حدود له، يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أم غير أدبية، يبدعه الإنسان أينما وجد وحيثما كان. يصرح رولان بارت قائلاً: «يمكن أن يؤدي الحكيم بواسطة اللغة المستعملة شفاهية كانت أو كتابية، وبواسطة الصورة ثابتة أو متحركة وبالحركة، وبواسطة الامتزاج المنظم لكل هذه المواد، إنه حاضر في الأسطورة والخرافة والأمثلة والحكاية والقصة والملحمة والتاريخ والمأساة والدراما والملهاة والإيماء واللوحة المرسومة، وفي الزجاج المزوق، والسينما والأنشوبات والمنوعات والمحادثات...»<sup>4</sup>. ويعني السرد فعل الحكيم المنتج للمحكي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، ص 217.

<sup>2</sup> محمد عزّام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة دراسة في نقد النقد، د/ط، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص 317.

<sup>3</sup> حميد لحميداني: بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، ط، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991، ص 45.

<sup>4</sup> سعيد يقطين: الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997، ص 19.

<sup>5</sup> عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، د/ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006، ص 62.

وإذا ما عرفنا السرد بأنه نقل الفعل القابل للحكي من الغياب إلى الحضور، وجعله قابلاً للتداول، سواء كان هذا الفعل واقعياً أو تخيلياً، وسواء تم التداول شفاهاً أو كتابياً، إن السرد ديوان آخر للعرب (ولنتذكر الأسمار والمجالس)، بل وهنا يمكن أن أجلي مبالغتي، وأقول إنه أهم وأضخم ديوان، ولا سيما عندما نتبين أن جزءاً أساسياً من الشعر العربي ينهض على دعائم سردية<sup>1</sup>.

نقول الشيء نفسه عن "السرد العربي"، فهو قديم قدم الإنسان العربي، وأولى النصوص التي وصلتنا عن العرب دالة على ذلك، مارس العربي السرد والحكي، شأنه في ذلك شأن أي إنسان في أي مكان، بأشكال وصور متعددة، وانتهى إلينا مما خلفه العرب تراث مهم، لكن السرد العربي كمفهوم جديد لم يتبلور بعد بالشكل الملائم، ولم يتم الشروع في استعماله إلا مؤخراً وبصور شتى<sup>2</sup>.

الخطاب الطريقة التي تحكى بها القصة، والقصة الواحدة يمكن أن تنقل بطرق متعددة. ما يهم في الخطاب ليست الأحداث، إنما الطريقة التي يروي بها السارد القصة، بعض الباحثين يستعملون مفهوم السرد **Narration** بدل الخطاب **Discours**<sup>3</sup>.

في السردية العربية، لعبد الله إبراهيم الذي ربط الظواهر برؤيتين مركزيتين للكون عرفتاهما الثقافة التراثية، في إطارها الديني خصوصاً، وهما الرؤية الكتابية والرؤية الشفاهية. ورصد في كتابه أيضاً ملامح القص التراثي وبنياته السردية الموجودة في المقامات، وفي ألف ليلة وليلة والحكاية الخرافية والسير الشعبية وفن إلقاء القصص لدى "الحكواتية" وسلط الضوء على ملامح من فعاليات التلقي المعهود للقص الشفوي الذي كان "الحكواتيون" يمارسونه<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص72.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 66/65.

<sup>3</sup>- محمد بوعزة: تحليل النص السردى تقنيات ومفاهيم، ص71.

<sup>4</sup>- صلاح صالح: سرديات الرواية العربية المعاصرة، ط1، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2003، ص15.

السردية هي: المبحث النقدي الذي يعنى بمظاهر الخطاب السردى، أسلوبا وبناء ودلالة<sup>1</sup>.  
والسرد هو الوسيلة التي يستعين بها الجميع دون استثناء في التعبير عن أنفسهم عن غيرهم.  
وكما يورد "إدوارد سعيد" فالأمم ذاتها تتشكل من "سرديات و مرويات"<sup>2</sup>.  
يعرف الدكتور رشيد بن مالك السردية بقوله: « يطلق مصطلح السردية على تلك  
الخاصية التي تخص نمودجا من الخطابات، ومن خلالها نميز بين الخطابات السردية  
والخطابات غير السردية»<sup>3</sup>.  
السرديات فرع معرفي يحلل مكونات وميكانيزمات المحكي، لكل محكي موضوع: إنه  
يجب أن يحكى عن شيء ما، هذا الموضوع هو الحكاية، هذه الأخيرة يجب أن تنتقل  
[إلى الملتقى] بواسطة فعل سردي هو السرد. الحكاية والسرد مكونان ضروريان لكل محكي  
المحكي خطاب شفوي أو مكتوب يعرض حكاية. والسرد هو الفعل الذي ينتج هذا المحكي<sup>4</sup>.  
وعلم السرد **Narratology** هو نظرية البنائيات السردية المستوحاة من البنيوية، لفحص بناء  
سردي، أو لعرض وصف بنائي، يقوم عالم السرد بتحليل ظاهرة السرد إلى الأجزاء المكونة  
لها ثم يحاول أن يحدد الوظائف والعلاقات. وعمليا فإن كل نظريات السرد تتميز بين ما  
نسرده (القصة) **(The Story)**. وبين كيف نسرده (الخطاب **The discourse**)<sup>5</sup>.  
السرد **(Narrative)**: أي شيء يحكي ويعرض قصة، أكان نصا أو صورة أو أداء أو خليطا  
من ذلك، وعليه فإن الروايات والأفلام والرسوم الهزلية... إلخ هي سرديات<sup>6</sup>.  
والسرد **Diegesis**، يصف السارد ما حدث بكلماته الخاصة (أو يسرد ما تفكر فيه الشخصيات  
أو تشعر به، دونما اقتباس)، وأضيق تعاريف للسرد يساويه بالخلاصة أو الإخبار<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005، ص 7/ 8.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 538.

<sup>3</sup> عبد القادر شرشار : تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص، ص 61.

<sup>4</sup> جيرار جينيت وآخرون: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، ط1، منشورات الحوار الأكاديمي الجامعي، 1989، ص 97.

<sup>5</sup> يان مانفريد: علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، تر-أماني أبو رحمة، د/ط، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع دمشق سوريا، 2011، ص 51.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 51.

<sup>7</sup> والاس مارتن: نظريات السرد الحديثة، تر- حياة جاسم محمد، د/ط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998، ص 163.

هو قصة لا غير مهما كان مبنيا على الحقائق، وما تشترك فيه التواريخ والسير والروايات وقصص الرومانس هو التنظيم الزمني<sup>1</sup>.

وقد أخذ مفهوم السرد في التطور مع النثرية الجديدة من خلال انفتاحه على طروحات النقد الحدائي لتكون الرواية من أقرب الأجناس الأدبية لتمثيل هذه التقنية خاصة مع النظرة المغايرة لكتابها في التعامل مع اللغة وزمن الحدث، وفضاء الحكيم فإن كانت السردية في مفهومها التقليدي تعني وظيفة يؤديها السارد ويقوم بها وفق أنظمة لغوية ورمزية إنها قد اتخذت مفهوما واسعا ومغايرا يتصل بعلاقة السارد بالمسرود له، وبالشخصيات الساردة. ثم أصبح السرد يطلق في الأعمال القصصية على كل ما خالف الحوار، ثم لم يلبث أن تطور مفهوم السرد على أيامنا هذه في الغرب إلى معنى اصطلاحى أهم، وأشمل بحيث أصبح يطلق على النص الحكائي أو الروائي أو القصصي برمته، فكأنه الطريقة التي يختارها الراوي أو القاص، أو حتى المبدع الشعبي ليقدم بها الحدث إلى المتلقي، فكأن السرد إذاً نسيج من الكلام، ولكن في صورة حكي<sup>2</sup>.

**السرد القصصي:** "السرد القصصي" ومن خلال الاسم، يتفرع إلى قسمين كبيرين، هما: القصة (بمعنى المتن الحكائي) والسرد (بمعنى المبنى الحكائي)، أما الأول فيتعلق بالأحداث والشخصيات، وأما الثاني فيتعلق بتنظيم تلك الأحداث في نسق خاص، بكيفية خاصة، من خلال سارد يتوجه إلى مسرود له<sup>3</sup>. يقول محمد مشرف خضر في كتابه بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم: «السرد القصصي ونحن نعده مقابل **Le récit** في الفرنسية أي الطريقة التي تروى بها القصة. وفي مادة قصص في لسان العرب نقراً»، ويقال: «قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء»، وهذا قريب مما قيل في السرد مع اختلاف قليل هو أن السرد يحتمل أن يكون قصصياً أو غير قصصي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص 248.

<sup>2</sup>- عبد القادر بن سالم: مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد بحث في التجريب وعنف الخطاب عند جيل الثمانينات، د/ط، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 58.

<sup>3</sup>- محمد مشرف خضر: بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص 17.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، ص 15.

## ثانياً- التيارات السردية و أنواعها:

وانصرفت "السردية" إلى الاهتمام بمكونات الخطاب السردية، ومظاهره وأبنيته ومستوياته الدلالية، وانتظمت البحوث في هذا الحقل المعرفي الجديد، في تيارين: تيار السردية اللسانية، وتيار السردية الدلالية.

**1- التيار الأول:** تجلت السردية اللسانية في جهود ج-جينيت وتودوروف ورولان بارت وهو تيار يُعنى بدراسة الخطاب السردية في مستويات التركيب "والعلائق" التي تربط الراوي بالمتن الحكائي<sup>1</sup>. السردية اللسانية التي تعنى بالمظاهر اللغوية للخطاب، وما ينطوي عليه من رواة، وأساليب سرد ورؤى وعلاقات تربط الراوي بالمروي<sup>2</sup>.

**2-التيار الثاني:** ويتعلق الأمر بالسردية الدلالية، كما تجلت في جهود بروبو وغريماس وهو تيار يُعنى بالبنى العميقة التي تتحكم بمظاهر الخطاب، وصولاً إلى تحديد قواعد وظائفية للسرد<sup>3</sup>. السردية الدلالية التي تُعنى بمضمون الأفعال السردية، دونما اهتمام بالسرد الذي يكونها، إنما بالمنطق الذي يحكم تعاقب تلك الأفعال<sup>4</sup>.

وعلى الرغم من تباين الأهداف بين التيارين، إلا أنهما يهدفان إلى إنتاج معرفة تطمح إلى توظيف كشوفاتهما للاقترب من الخطاب السردية، في مستوياته التركيبية والدلالية. كما كشفت الدراسات أن هناك تياراً يحاول التوفيق بين التيارين المذكورين<sup>5</sup>.

إن بعض السرديين (شاتمان Chatman 1978، برانس Prince 1982). يسعون إلى الجمع بين هذين التوجهين (لأجل مقدمة لهذه السرديات المزدوجة) أنظر ريمون 1983<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص92.

<sup>2</sup>- عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، ص8.

<sup>3</sup>- عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص92.

<sup>4</sup>- عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، ص8.

<sup>5</sup>- عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص92.

<sup>6</sup>- جيرار جينيت وآخرون: نظرية السرد وجهة النظر إلى التبئير، ص97.

وإذا أردنا إعادة صياغة تصورنا للسرديات من خلال تجسيد مختلف المقولات الحكائية التي تشغل بها وهي تقوم بمفصلتها بحسب الموضوعات المختلفة التي تهتم بها، فإننا سنجد أنفسنا أمام:

- **سرديات القصة:** وتهتم بالمادة الحكائية من زاوية تركيزها على ما يحدد حكايتها، وتميزها داخل الأعمال الحكائية المختلفة<sup>1</sup>. والتي تنضوي جميعا ضمن جنس السرد، ولا يتجسد أي عمل حكاية إلا إذا توفرت فيه المقولات الآتية: - الأفعال - الفواعل - الزمان و المكان. فالأفعال يقوم بها فواعل (شخصيات) في زمان ومكان معينين<sup>2</sup>.

- **سرديات الخطاب:** إذا كان الاهتمام في سرديات القصة منصبا على المادة الحكائية، فإن سرديات الخطاب تركز على ما يميز بنية حكاية عن أخرى من حيث الطريقة التي تقدم بها كل مادة حكاية<sup>3</sup>. قد تكون المادة الحكائية واحدة، لكن أشكال تقديمها تختلف باختلاف الخطابات وأنواعها ويتجلى الاختلاف الفرق بين سرديات القصة وسرديات الخطاب من خلال هذا الشكل<sup>4</sup>:

الخطاب	القصة	الشكل
الخطاب	القصة	المقولات
السرد	الحدث	الفعل
الراوي	الشخصية	الفاعل

وإذا دققنا هذه العلاقة بين القصة والخطاب، سنجد أنفسنا أمام مقولات الخطاب التالية:

• **الزمان:** وهو الذي بواسطته يعطى زمان خاص لزمان القصة<sup>5</sup>. وفيه يتم التمييز بين زمن القصة وزمن الخطاب.

<sup>1</sup> سعيد يقطين: الكلام والخبر، ص223.

<sup>2</sup> عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص146/147.

<sup>3</sup> سعيد يقطين: الكلام والخبر، ص224.

<sup>4</sup> عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص147.

<sup>5</sup> سعيد يقطين: الكلام والخبر، ص225.

• **الصيغة:** وتتصل بالأفعال الكلامية التي تضطلع بها الشخصيات والراوي؛... وإذا كان الاهتمام بالشخصية في القصة مركزا عليها وهي تفعل، فإن العناية في الخطاب توجه إلى ما يصدر منها من كلام، بحيث يوضع كلامها إزاء فعل الراوي (السرد). وهكذا تبرز لنا العلاقة بين القصة والخطاب صيغتين أساسيتين هما: العرض، الذي يتم من خلال أقوال الشخصيات، والسرد الذي يتولاه الراوي وقد تضطلع به بعض الشخصيات<sup>1</sup>.

• **الرؤية (Vision):** وهو الموقع الذي يحتله السارد في علاقاته بالشخصيات، وبالعالم القصة بوجه عام، والتبئير: وهو المفهوم الذي جاء ليحل محل "وجهة النظر" أو المنظور في الدراسات ما قبل السردية. أربط التبئير في الخطاب بالفضاء في القصة ويسمح لنا هذا بالبحث في "فضاء الخطاب". وبذلك يمكننا المساهمة في تطوير "نظرية التبئيرات". من خلال التمييز بين فضاء القصة وفضاء الخطاب<sup>2</sup>.

- **السرديات النصية:** تهتم بالنص السردى باعتباره بنية مجردة أو متحققا من خلال جنس أو نوع سردي محدد، هي تعني به من جهة "نصيته" بحيث يسمح لها ذلك بوضعه في نطاق البنية النصية الكبرى للنصوص، كما أنها تعين الفعل النص من خلال الإنتاج والتلقي وترتبط كلا منهما بفاعل (الكاتب - المؤلف) و(القارئ- السامع) وتضعهما في زمان وفضاء معينين<sup>3</sup>.



<sup>1</sup> - عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص148.

<sup>2</sup> - سعيد يقطين: الكلام والخبر، ص 225.

<sup>3</sup> - عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص225.

ثالثاً- الأساليب السردية:

أ- الكلام المباشر (Direct speech):

هذا النوع هو أشهر الأساليب السردية الخاصة باستحضار الأحاديث وأكثرها استخداماً في الروايات الحديثة وفي القصص القديمة أيضاً. ويقتصر دور السارد على التقديم لقول الشخصيات المتحدثة بكلمات أو جمل يشير فيها السارد إلى بدء الحديث أو كلفيته، أو هيئة المتحدث به<sup>1</sup>.

ب- الكلام غير المباشر (Indirect speech):

إذا كان أسلوب الكلام المباشر يساق فيه الكلام على أنه منقول بلسان الشخصية، وأن السارد لا يتعدى طور التقديم لهذا الكلام، فإن أسلوب "الكلام غير المباشر" يتيح للسارد سلطات أكبر، بحيث يقوم السرد نفسه بحكاية كلام الشخصية المتحدثة نيابة عنها، مع التصريح بأن الشخصية نفسها هي التي تقول<sup>2</sup>.

ج- الكلام الحر المباشر (Free direct speech):

لا يفترق هذا النوع من الأساليب عن الأسلوب المباشر إلا في الإطار السردى الذي يلف العبارة الحوارية، ففي الأسلوب الحر المباشر تختفي المقدمات السردية مثل قول الراوي: (قال فلان) أو (همس قائل) أو (صرح)...يأتي الحوار في الأسلوب الحر المباشر دون مقدمات أو أطر، بحيث تندفع الشخصيات في الحديث وكأنها عرض مسرحي<sup>3</sup>.

د- التقرير السردى لأفعال الحديث (The narrative report of speech):

هذا الأسلوب هو لب السرد وأساسه وهو أكثر إيغالا في عدم المباشرة من الأسلوب غير المباشر نفسه، لأنه عبارة عن تقرير بلسان السارد عن فعل الكلام، فالسارد هو الذي يبدو

<sup>1</sup> عبد الرحيم الكردي: السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله، نموذجاً)، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007 ص197.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص200.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص203.

في الصورة، ولهجته فقط هي اللهجة الملموسة في الكلام وصوته فقط هو الصوت المسموع<sup>1</sup>.

### هـ- الكلام الحر غير المباشر (Free indirect speech) :

في هذا النوع من الأساليب يمتزج كلام السارد وكلام الشخصية المتحدثة، بحيث يمكن تبيين مظاهر صوتين متداخلين في العبارة السردية الواحدة، صوت السارد وصوت الشخصية صاحبة الكلام، فلا يلغي السارد صورة كلام الشخصية ولا تلغي الشخصيات صورة كلام السارد، يتضح ذلك من خلال أنواع الضمائر المستخدمة في العبارة السردية، وكذلك أنواع الإشارة والظروف وطرق تنضيد اللهجات<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص205.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص208.

رابعاً - الرؤية السردية:

• زاوية رؤية الراوي (أو أشكال التبئير (Focalisation):

يعرف بوث (Wayne G.Booth) زاوية الرؤية (Point de vue) بقوله: «إننا متفقون جميعاً على أن زاوية الرؤية، هي بمعنى المعاني "مسألة تقنية ووسيلة من الوسائل لبلوغ غايات طموحة»، ويتبين لنا من خلال هذا التعريف أن زاوية الرؤية عند الراوي، هي متعلقة بالتقنية المستخدمة لحكي القصة المتخيلة، وأن اختيار هذه التقنية دون غيرها، هو الغاية التي يهدف إليها الكاتب عبر الراوي<sup>1</sup>. وصنف الناقد الفرنسي "جان بويون" في وجهة النظر في كتابه (الزمن و الرواية) 1945، حيث صنف (زاوية الرؤية) في ثلاث:

1- الراوي < الشخصية الحكائية (الرؤية من خلف): وتستخدم هذه الطريقة في الحكي الكلاسيكي، ويكون الراوي عارفاً أكثر مما تعرفه الشخصية الحكائية.

2- الراوي = الشخصية الحكائية (الرؤية مع): وتكون معرفة الراوي هنا على قدر معرفة الشخصية الحكائية.

3- الراوي > الشخصية الحكائية (الرؤية من خارج): والراوي هنا لا يعرف إلا القليل مما تعرفه إحدى الشخصيات الحكائية.<sup>2</sup>

أشكال التبئير:<sup>3</sup>

تودوروف	بويون	جينيت
• السارد يعرف أكثر مما تعرف الشخصية	• الرؤية من خلف	• التبئير في درجة الصفر
• السارد يعرف نفس ما تعرفه الشخصية	• الرؤية مع	• التبئير الداخلي
• السارد يعرف أقل مما تعرفه الشخصية	• الرؤية من خارج	• التبئير الخارجي

<sup>1</sup> - حميد الحمداني: بنية النص السردية، ص46.

<sup>2</sup> - محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص318.

<sup>3</sup> - جيرار جينيت وآخرون: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، ص115.

يميز الشكلاني الروسي "توماتشفسكي" بين نمطين من السرد: سرد موضوعي (Objectif) وسرد ذاتي (Subjectif). ففي نظام السرد الموضوعي يكون الكاتب مُطلعاً على كل شيء، حتى الأفكار السرية للأبطال<sup>1</sup>، ويكون الكاتب مقابلاً للراوي المحايد الذي لا يتدخل ليفسر الأحداث، وإنما ليصفها وصفاً محايداً كما يراها، أو كما يستتبطها من أذهان الأبطال ولذلك يسمى هذا السرد موضوعياً لأنه يترك الحرية للقارئ ليفسر ما يُحكى له ويؤوله<sup>2</sup>.

أما في نظام السرد الذاتي، فإننا ننتبع الحكي من خلال عيني الراوي (أو طرف المستمع) متوفرين على تفسير لكل خبر: متى وكيف عرفه الراوي أو المستمع نفسه، ففيه ننتبع الحكي من خلال عيني الراوي، ولا تقدم الأحداث فيه إلا من زاوية نظر الراوي، فهو الذي يُخبر بها وهو الذي يعطيها تأويلاً معيناً يفرضه على القارئ، ويدعوه إلى الاعتقاد به<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص 317.

<sup>2</sup> - حميد لحداني: بنية النص السردي، ص 46.

<sup>3</sup> - محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص 317.

## خامساً- مكونات السرد ووظائفه التقنية:

تتشكل البنية السردية للخطاب من تضافر ثلاث مكونات:

- الراوي: قد يكون غير ظاهر في النص، وقد يكون شخصية من شخصيات النص.
- المروي: هو الرواية نفسها والتي تحتاج إلى راوٍ ومروي له.
- المروي له: وقد يكون اسماً معيناً ضمن البنية السردية، أو مجتمعاً بأسره، وقد يكون قضية ما يخاطبها الروائي على سبيل التخيل الفني<sup>1</sup>.

أ- يعرف الراوي: بأنه ذلك الشخص الذي يروي الحكاية، أو يخبر عنها، سواء أكانت حقيقية أم متخيلة، ولا يشترط أن يكون اسماً معيناً، فقد يتوارى خلف صوت، أو ضمير يصوغ بوساطته المروي<sup>2</sup>. لقد وضع حداً لإشكالية المزج بين الراوي والكاتب، حيث بين الدارسون أن الراوي يختلف عن الكاتب، لأن الأول ينتمي إلى العالم الأدبي المتخيل الذي أنشأه الثاني، فهو من صنعه، فالراوي من إنشاء الكاتب، شأنه شأن الشخصيات الحكائية الأخرى، والسارد هو كائن متصور نحصل عليه من جميع الملاحظات والإشارات والضمائر الواردة في النص. « إن السارد هو الشخصية التي تروي القصة، فمن المستحيل في أي عمل سردي، غياب الراوي فالسارد في الرواية الحديثة موضوع السرد، فهو في الروايات العديدة، يشكل كائناً بشرياً متنوعاً، ينتج خطابه الخاص دون أن يكون بالضرورة طرفاً في المسرود، لذلك لا يمكن أن نرصد تطور الرواية العربية الحديثة دون رصد التشكيلات المخالفة، والمتنوعة للسارد فيها»<sup>3</sup>.

ب- أم المروي: فهو كل ما يصدر عن الراوي، وينتظم لتشكيل مجموع من الأحداث يقترن بأشخاص، ويؤطره فضاء من الزمان والمكان، وتعد "الحكاية" جوهر المروي، والمركز الذي تفاعل كل العناصر حوله، وفرّق بين مستويين في المروي، الأول "متوالية من الأحداث المروية، بما تتضمنه من ارتجاجات واستباقات وحذف" واصطاح الشكلاونيون الروس

<sup>1</sup>- أمانة يوسف: تقنيات السرد والنظرية والتطبيق، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 1997، ص30.

<sup>2</sup>- عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، ص8.

<sup>3</sup>- ينظر: محمد الباردي: إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، دط، مركز النشر الجامعي، تونس، 2004، ص03.

على هذا المستوى (ب) "المبنى"، والثاني "الاحتمال المنطقي لنظام الأحداث" واصطلحوا عليه بالمتن المبنى يحيل على الانتظام الخطابي للحدث في سياق البنية السردية، أما المتن فيحيل على المادة الخام التي تشكل جوهر الأحداث، في سياقها التاريخي<sup>1</sup>، وعلى حد تعبير "ف.شلوفسكي": «إن الحكائي يتشكل من نماذج الحوافز، ويعنى بالمبنى الحكائي، النسق الذي يحكم أبنية النص القصصي أو الروائي أو الدراما»<sup>2</sup>.

**ج- أما المروي له:** فهو الذي يتلقى ما يرسله الراوي، سواء أكان اسماً متعينا ضمن البنية السردية، أم شخصا مجهولا، ويرى برنس "أن السرد، سواء أكانت شفوية أم مكتوبة، وسواء أكانت تسجل أحداثا حقيقية أم أسطورية، وسواء أخبرت عن حكاية أم أوردت متواليات بسيطة من الأحداث في زمن ما، فإنها لا تستدعي راويا فحسب، بل مرويا له أيضا، والمروي له شخص يوجه إليه الراوي خطابه، وفي السرد الخيالية - كالحكاية والملحمة والرواية - يكون الراوي كائنا متخيلا، شأن المروي له»<sup>3</sup>.

وعند الحديث عن وظائف السرد التقنية فإننا نستشفها من خلال طاقاتها الوظيفية الكامنة فيه والتي يمكن حصرها فيما يأتي<sup>4</sup>:

- طاقة تكمن في الخطاب السردية، وتختص بتوجيه الدلالة أو التعبير عن المضمون من خلال زاوية الرؤية الخيالية، وهي الزاوية التي تحدد شكل الأشياء كلها في الرواية وتصدر على (العاكس) أو (الراوي) أو (المؤلف)، وقد ربط الأسلوبيون بين هذه الوظيفة (زاوية الرؤية) في السرد والوظيفة (التواصلية) في اللغة؛ أي الوظيفة التي أطلق عليها (هاليداي) مصطلح (Inter personal) بل عدّوهما شيئا واحدا، لأن السرد قول، والقول لا يخرج عن نطاق اللغة وأحكامها، بل هو لغة.

<sup>1</sup> - عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، ص9.

<sup>2</sup> - مراد عبد الرحمان مبروك: آليات المنهج التشكيلي في نقد الرواية العربية المعاصرة، (التحفيز نموذجا تطبيقيًا)، ط1 دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2002، ص24.

<sup>3</sup> - عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، ص9.

<sup>4</sup> - عبد الرحيم الكردي: السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله نموذجا)، ص151/152.

- الوظيفة المتعلقة بتركيب السرد، وبحجمه، وبتناسب أجزائه، ويأتي هذا التركيب وهذا التناسب في الحجم في صنع الدلالة، وفي التعبير عن المضمون... وهذه الوظيفة تعتمد على النص نفسه، ويطلق الأسلوبيون على هذه الوظيفة في السرد الروائي التابع القصصي.

- الطاقة أو الوظيفة الخاصة بالرؤية القولية، والذي يقوم بهذه الرؤية ويحدد زاويتها هو (السارد) وموقعه... ويجعل الأسلوبيون هذه الوظيفة داخلية في إطار الوظيفة الفكرية في اللغة، أي المتعلقة بالخبرة والتجربة.

وهكذا نجد وظائف السرد الثلاثة هي نفسها وظائف اللغة، لأن السرد نفسه لا يخرج عن كونه لغة، سواء أكان بالنسبة للشفرة، أم التعبير عن المضمون، أم بالنسبة للوظائف وهذه الوظائف السردية تبدو فيما يسمى (بزاوية الرؤية الخيالية)، و(التتابع القصصي) و(بؤرة الوصف السردية).

الفصل الثاني:  
بلاغة السرد وجمالياته الوظيفية عند فدوى  
طوقان

أولاً- في بلاغة السرد

ثانياً- السرد وجمالياته في سيرة فدوى طوقان

- 1- مجرى الأحداث وواقعيتها
- 2- جمالية حضور الشخصيات
- 3- آلية التوظيف الزمكاني وفنياته
- 4- آلية توظيف اللغة الساردة

### أولاً- في بلاغة السرد:

منذ عهد قريب بدأنا نسمع عن بلاغة السرد، وبدأت منذ ذلك الحين بعض دراسات تظهر على استحياء متوسلة بهذا المنهج، الذي هو وريث شرعي للبنىوية التي طغت فيها الصرامة العلمية على الروح الأدبية، فكانت الشعرية **la poétique** من ثم تمثل عودة محمودة نحو الأدبية، أو البحث في جماليات النص الأدبي<sup>1</sup>.

أخذت بحوث البلاغة الجديدة تنمو منذ نهاية عقد الخمسينيات حتى الآن، عبر ثلاثة آفاق متجاوزة ومتتالية، ولقد تفرعت مدرسة بروكسل إلى تيارات عديدة ويلاحظ عموماً على مبادئ التيار الأول أنها تدور حول وظيفة اللغة التواصلية، أما التيار الثاني فقد نشأ في منتصف الستينيات، ولم تكن له علاقة تذكر ببلاغة "بير يلمان" المنطقية، بل إنه من بعض النواحي يعمل في الاتجاه المضاد له ولمدرسة بروكسل كلها، وقد ولدت هذه البلاغة الجديدة في حضانة البنوية النقدية ذات النزوع الشكلاني الواضح ("جيرار جينيت"، "جان كوهين" و"تودوروف"). ويأتي الاتجاه الثالث لتحليل الخطاب بمنهج وظيفي مجاور للاتجاه البنوي ومعتمد على السيميولوجيا من ناحية والتداولية من ناحية أخرى.\*

إن أدبية السرد بنت العصر الحديث، خاصة في شكلها لقصصي والروائي... فنحن إذن حيال ظاهرة عالمية، حيث نرى جهود تحليل الخطاب والإحاطة النصية به تنصب على السرديات، ويلاحظ الباحثون أن البلاغة الغربية قد اشتملت على كثير من أسس السرديات، ويعتمد تطوير العلاقة بين البلاغة والسرديات على مراجعة الجوانب المختلفة لأنماط "العبارة" أو أجناس الخطاب من منظور نقدي حديث<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- محمد مشرف خضر: بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص9.

\* - ولد مصطلح البلاغة الجديدة ذاته عام 1958 في عنوان أحد الكتب الشهيرة التي وضعها المفكر البولوني المولد البلجيكي المقام "بير يلمان" تحت اسم "مقال في البرهان: البلاغة الجديدة"، ينظر: صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، دط، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص 66/65.  
<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 254.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصوص طوقان الصائبة

وتستمر الاجتهادات، ولكنها هذه المرة تسعى نحو هدف آخر، هو التخلص من الصرامة العلمية التي سادت مع الشكيلة الجديدة (البنويّة) ومع بداية السبعينيات ظهرت نتائج محققة في هذا الصدد وبدأ الحديث عن الشعرية **la poétique** التي تهتم بجماليات الإبداع الأدبي، وتلغي الحد الفصل بين البنية ومحتواها، وظهرت أعمال في تحليل الخطاب السردى، تُعنى بدراسة كيفية ظهور مكونات النص، وخصائصها المميزة، التي يتميز من خلالها عمل أدبي عن آخر، هذه الأعمال تجتمع لتكون ما يمكن أن نسميه بالمنهج السردى البنوي، لاهتمامها بتحليل السرد من ناحية، ولقيامها على المنهج البنوي من ناحية أخرى<sup>1</sup>.

ففي أوائل السبعينيات نشر جيرار جينيت **Gerard Genette** مقالا يعتبر رد فعل إزاء هيمنة "فن العبارة" بل الشعرية على البلاغة، قال في مستهله: «عرفت الفترة الممتدة بين (1969- 1970) ظهور ثلاثة نصوص تكاد تكون متزامنة، مع اختلاف أحجامها فإن عناوينها تشي بأمر ذي اعتبار، نقصد بذلك البلاغة العامة **Rhétorique générale**. ومن هنا فقد برز قطب جديد متميز للبلاغة الحديثة، هو قطب "بلاغة العبارة" وقد بلور هذا القطب سؤال "الأدبية" مع الشكلايين الروس في إطار لساني<sup>2</sup>.

يقول "كينيتليانو" في كتابه عن فن الخطابة: «إنني لا أتفق في الرأي مع من يرون أنه بنفس الترتيب والنظام الذي تحدث به الأشياء لابد وأن تروى، ولكنها ينبغي أن تروى بأفضل الطرق المواتية، ومن أجل ذلك هنالك أشكال عديدة، ففي بعض الأحيان نتظاهر بأننا سنعود لنحكي جزءا مما ناقصه حتى يتضح الموقف أكثر، وأحيانا أخرى نشرع بعد حكاية الواقعة في إضافة البواعث التي سبقتها»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمد مشرف خضر : بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص6.

<sup>2</sup> - وسيمة مزدوات: الاستعارة الروائية دراسة في بلاغة السرد، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر 2012، ص16.

<sup>3</sup> - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص256.

## الفصل الثاني: بلاغة الهرم وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

ويقوم "كينيثليانو" بتعميق هذا المفهوم للاحتمال السردي وتأسيس شعرية عندما يقول: « تصير القصة محتملة إذا استشرنا أنفسنا أولاً كي لا نقول شيئاً يتعارض مع الطبيعة وإذا ألمحنا مسبقاً إلى البواعث التي أدت إلى حدوث الأشياء المروية، لا بواعث كل الأشياء وإنما تلك التي نعتزم التحقق منها، وإذا رسمنا الشخصيات بتلك الخواص التي تجعل الوقائع قابلة للتصديق، أما ظروف الزمان والمكان فينبغي الإحاطة بهما أيضاً، كما أن هناك قدراً من التتابع والترابط بين الأحداث يجعلها قابلة للتصديق»<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص256.

ثانياً - السرد وجماليته في سيرة فدوى طوقان:

### 1- مجرى الأحداث وواقعيتها:

إن دراسة القصة بوصفها متنا حكاثيا، تعني دراسة الأحداث المتصلة فيما بينها وتمثل مادة أولية للحكاية الواقعة من أشخاص، ودراستنا للمتن الحكائي إذن لن تخرج عن هذين المحورين:

الأحداث، وقد احتفظنا لها بتسمية بروب "الوظائف" ويقصد بالوظيفة: « فعل شخصية ما، محدد من وجهة نظر دلالاته داخل جريان الحكاية»، والوظيفة تمثل عنصرا ثابتا في الحكاية؛ ولأنها تصف تفاعل الشخصيات، أي تصف أفعال وأوضاع الشخصيات، وليس السؤال عن فعل هذا الفعل، أو كيف فعله<sup>1</sup>.

والحادثة هي مجموعة وقائع ينظمها القص في إطار محدد، فتتمو وتعنف وفق السياق الفني الذي رسمه لها، وترتبط ارتباطا وثيقا بالشخصيات، ومن ثم تتفاعل لخدمة "الحبكة" ولإبراز الأحداث يرسم القاص إطار المكان الذي تدور فيه الوقائع، وزمان وقوعها، فيصبح القارئ على بيّنة مما يجري<sup>2</sup>.

وتتكون الحكاية، كما أشرنا، من مجموعة الأحداث التي تقع، أو التي يقوم بها أشخاص تربط في ما بينهم علاقات، وتحفزهم حوافز تدفعهم إلى فعل ما يفعلون.

على أن هذه الأحداث التي تقع، أو التي يقوم بها أشخاص تربط ما بينهم علاقات وتحفزهم لفعلهم حوافز، إنما هي أحداث، أو أفعال، تتوالى في السياق تبعا لمنطق خاص بها يجعل وقوع بعضها مترتبا على وقوع البعض الآخر<sup>3</sup>.

وكما يرى أرسطو أن الحكاية هي الفعل، والفعل هو ما يمارسه أشخاص بإقامة علاقات فيما بينهم ينسجونها وتنمو بهم، فنتشابك وتتعدد وفق منطق خاص بها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - محمد مشرف خضر: بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص17.

<sup>2</sup> - أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذهب، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2005، ص155.

<sup>3</sup> - يمني العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج النبوي، ط2، دار الفارس، بيروت، لبنان، 1999، ص43.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص42.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الصائبة

والأحداث هي ركن من أركان السيرة، ولها تأثيراتها في بقية الأركان الأخرى، ولكل حدث تأثيره في الشخصية التي قامت به، مثلما يؤثر في الشخصيات الأخرى<sup>1</sup>.

تبدأ فدوى طوقان بسرد أحداث لسيرتها في الجزء الأول (رحلة جبلية رحلة صعبة) بولادتها تقول: «خرجت من ظلمات المجهول إلى عالم غير مستعد لتقبلي...»<sup>2</sup>، وتنتهي بوفاة شقيقها نمر عام 1963: «وبقيت على خوف وتوجس طيلة بقية الأيام القليلة التي سبقت وقوع الفجيرة، في الساعة الخامسة من مساء نهار الجمعة 1963/03/15....»<sup>3</sup>. ومعظم هذه الأحداث هي مواقف احتفظت بها ذاكرتها، والتي تركت بصماتها في شخصيتها. وفي مقدمة ذلك أن أمها تركتها لرعاية المريية سمرة، تقول: «في فترة الفطام كانت تأخذني السمرة لأنام معها في بيتها المجاور وقد روت لي فيما بعد كيف كان يكفيها حين أبكي أن تربت على كتفي وعلى ظهري وتهمس في أذني قائلة (أنا السمرة ، أنت معي)»<sup>4</sup>، كما تتذكر كيف كانت أمها تضربها وهي تمشط لها شعرها: «بينما كنت ألتقي الضربات على ظهري من قبضتي أُمي العصبيتين بسبب ضيقها بتمللي بين يديها، كان تمشيطها لشعري سريعا عصبيا موجعا»<sup>5</sup>، كما تذكر أن أباها زجرها لأنها كانت تراقب مجموعة من النحل الذي يحوم حول بعض الحلويات، وظنّ أنها تشتهيها، تقول: «وقفت في ظهيرة أحد الأيام على آخر درجة من درجات بابنا الخارجي في السوق أراقب مجموعة من النحل كانت تحوم على سدر الكنافة المعروض أمام الدكان... ثم فوجئت بشقيقي الكبير يسوقني من يدي إلى البيت، قال ونحن نرقى السلم، لا يليق بك الوقوف هكذا أمام سدر الكنافة فإذا كنت ترغبين في تناولها أخبري أمك وهي تحقق لك رغبتك»<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص96.

<sup>2</sup>- فدوى طوقان: رحلة جبلية رحلة صعبة، ط4، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص12.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص208.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص20.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، ص22.

<sup>6</sup>- المصدر نفسه، ص19.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الذاتية

ومن أهم الأحداث التي عاشتها فدوى دخولها إلى المدرسة، ثم حرمانها منها بعد أقل من أربع سنوات، فقد حرّمها أخوها يوسف من الخروج من البيت بعد أن وشى أحدهم له بأن فتى قدم لها زهرة فل...<sup>1</sup>

يعدّ قدوم إبراهيم من بيروت أهمّ حادثة مفرحة في حياة فدوى طوقان حيث تقول: « كان هو الوحيد الذي ملأ الفراغ النفسي الذي عانيته بعد فقدان عمي، والطفولة التي كانت تبحث عن أب آخر يحتضنها بصورة أفضل وأجمل وجدت الأب الضائع مع الهدية الأولى والقبلة الأولى التي رافقتها»<sup>1</sup>. وتولى أخوها إبراهيم مهمة تعليمها، وعندما سافر للعمل في الجامعة الأمريكية ببيروت، تولّت مهمة تعليم نفسها بنفسها، وفي هذه المرحلة خلال العامين (1931-1936)، استطاعت أن تنشر أول قصيدة لها في جريدة "مرآة الشرق" وكان إبراهيم يحفظها دائماً على التقدّم حتى وهو خارج نابلس، إذ لم يبخل عليها برسائله، وتوجيهاته<sup>2</sup>.

وبدأ اسم فدوى يطل على العالم الأدبي، تقول: « لكم شعرت بالزهو والاعتزاز حين رأيت الدكتور عمر فروخ صاحب مجلة "الأمالى" البيروتية يقدم لإحدى قصائدي المنشورة في مجلته...»<sup>3</sup>، وكانت توقع قصائدها الهزلية باسم دنانير، وكانت تنشر قصائدها في المجلات الأدبية (مجلة الأمالى، مجلة الرسالة) رغم أنها مازالت سجيناً منزل العائلة... وتواصل فدوى سرد أحداث قصتها، تقول: «على امتداد هذه المرحلة وكانت أقسى مراحل حياتي على الإطلاق، ظلت رعاية إبراهيم لي هي القوة الدافعة في تحويل المشاعر المضغوطة في طاقة عملية، فأكب من جديد وباستغراق على مواصلة الدراسة والمطالعة ومحاولات الكتابة شعراً ونثراً»<sup>4</sup>.

وكان لوفاة شقيقها إبراهيم عام (1941) أثر كبير في حياتها، « بضعة شهور، ومرض وعاد إلى نابلس ومات، وانكسر شيء في أعماقي، وسكنتني حرقه اليتيم»<sup>5</sup>، وتقول: « ظل

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص60.

<sup>2</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكّر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص97/96.

<sup>3</sup>- فدوى طوقان: رحلة جبلية رحلة صعبة ص89.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص100.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، ص126.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الخطابية في سيرة فصول طوقان الصائبة

حبي لإبراهيم مصدر كآبة باطنية رافقت تعلقي به طيلة حياته القصيرة، كان شعوري بالسعادة لوجود هذا الأخ الحنون في حياتي يهزني أحياناً بما يشبه الحزن، وذلك من فرط خوفاً عليه من موت مبكر»<sup>1</sup>.

ثم توفي والدها، تقول: «في ضجة السقوط مات والدي عام 1948» وتقول: «لم أكن أحمل لأبي عاطفة قوية، بل ظل شعوري تجاهه أقرب ما يكون إلى الحيادية، لم أبغضه ولكنني لم أحبه»<sup>2</sup>.

وانفكت عقدة لسانها، وراحت تكتب الشعر الوطني الذي طالما تمنى أبوها لو تتفرغ له فتملاً مكان إبراهيم، وكتبت الشعر الوطني بتلقائية وبدون أي إلزام خارجي تقول فدوى طوقان: «بعد وفاة والدي لم يعد انفعالي بالسياسة معدوماً، ولكنه لم يكن حاداً، فقد ظل يجتاحني على فترات متقطعة ويفتقر إلى صفة الاستمرارية، يشتعل في المناسبات المشتعلة ويخمد بخمودها... وخرجت إلى الحياة أكبر منها وألمسها، أمسك باللحظات الهاربة فلا أدعها تفوتني قبل أن استهلكها ثانية فثانية ودقيقة فدقيقة»<sup>3</sup>. لقد نالت جزءاً من الحرية لم تكن تتمتع به سابقاً.

وفي عام 1962 سافرت إلى بريطانيا بمساعدة ابن عمها فاروق الذي كان يدرس في جامعة أكسفورد، ومات شقيقها نمر إثر سقوط الطائرة، وعادت فدوى إلى نابلس ثم إلى الدوحة حتى تجد من يستطيع أو يواسيها في ذلك المصاب الكبير.

هذه هي أهم الأحداث الخاصة التي وردت في سيرة فدوى، وقد مزجت بينها وبين بعض الأحداث التاريخية، فقد أوردت في سيرتها أحداثاً تاريخية كثيرة التقطتها من الذاكرة واستعانت على وصفها ببعض كتب التاريخ، ومثال ذلك ما اقتبسته من كتاب "تاريخ جبل نابلس" لإحسان النمر، وكتاب "جذور القضية الفلسطينية" لإميل توما، وكتاب عزت حرورية

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص 137.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص 135.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص 137.

## الفصل الثاني: بلاغة الهرم وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الذاتية

"حول الحركة العربية الحديثة"، وكتاب فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية لعيسى السفري<sup>1</sup>.

وفدوى طوقان في سيرتها رحلة جبلية، رحلة صعبة (1<sup>٤</sup>) تتحدث عن مرحلة كانت معزولة فيها عن العالم الخارجي بحكم القيود المفروضة عليها وعلى كل نساء الأسرة تقول: «أتمنى من كل قلبي لو أستطيع الارتقاء في حضن الجماعة فأعيش حياتها واهتماماتها ومرافقاتها المتصلة بالقضايا الوطنية، ولكن تحقيق هذا التمني ظل فوق قدرتي فالتعامل مع الناس في الخارج ليس في طبعي»<sup>2</sup>.

ولقد ركزت فدوى على سرد الأحداث الخاصة، كما أنها لم تهمل رصد الأحداث التاريخية التي وقعت آنذاك في فلسطين.

ولقد سيطرت الأحداث الخاصة على الجزء الأول، من سيرة فدوى طوقان "رحلة جبلية رحلة صعبة"، لأن الأحداث العامة لم ترك أثرا كبيرا في نفسها، أما في الجزء الثاني من سيرتها "الرحلة الأصعب"، فإن الأحداث «تبتعد عن ذات الشاعرة بسبب شدة الضغط الخارجي المسلط من وقع الاحتلال الثاني لأرض فلسطين و مدنها عام 1967»<sup>3</sup>.

إذا تأملنا أحداث السيرة فإنها تُستهل بتصوير ذلك اليوم المشؤوم الذي ستعلن فيه حرب ستة أيام التي حققت فيها إسرائيل انتصارا كبيرا على مصر بقيادة جمال عبد الناصر إذ استولى جيش العدو على منطقة سيناء، وضم كثيرا من الأراضي الفلسطينية، وانتزع الجولان من سوريا، وتوسع في كثير من أراضي البلدان المجاورة، تقول فدوى: «مرورا بكل هذا ظلت الحقيقة غائبة حتى اليوم السادس، يوم صممت المدافع في كل مكان، عملا بقرارات مجلس الأمن الدولي التي أصرت على وقف إطلاق النار بعد أن اكتمل السقوط التام، سقوط الضفة الغربية والقطاع والجولان وسيناء»<sup>4</sup>، وكانت لهذه الحرب آثار وخيمة على نفسية فدوى طوقان وعلى الجميع، إذ تقول فدوى في بداية سيرتها "الرحلة الأصعب":

<sup>1</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكور: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص99.

<sup>2</sup>- فدوى طوقان: رحلة جبلية، رحلة صعبة، ص151.

<sup>3</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكور: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص156.

<sup>4</sup>- فدوى طوقان: الرحلة الأصعب، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993، ص13/12.

## الفصل الثاني: بلاغة الهرم وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الصائبة

« لن تبرح مخيلتي صورة ذلك اليوم الحزيراني المشؤوم، يوم الاثنين الخامس من حزيران العام 1967»<sup>1</sup>، وتنتهي السيرة بالإشارة إلى مؤتمر مدريد، وخلال هذه المدة تتعرض فدوى لأهم الأحداث التي مرت بها القضية الفلسطينية، وانعكاساتها على أدبها، تقول: « وفي الأخير لملمت نفسي وانتزعتها من الانهيار والدمار والغربة والاعتراب في الذات والوطن ويممت وجهي شطر حيفا لألتقي بهم وفي يدي هديتي إليهم " لن أبكي"»<sup>2</sup>، هذا لأن فدوى لم تبرح بيتها قبل شهرين من الاحتلال، ولقد كان توفيق فياض وبوافيها خلال زيارته لها بجريدة "الاتحاد" وبمجلتي "الجديدة" و"الغد". ولقد أرسلت عن طريق توفيق فياض قصائدها الخمس إلى جريدة الاتحاد لنشرها، وبعد ذلك شد الصهاينة الخناق على جميع المدن الفلسطينية وحوصرت الجبهات والحدود والممرات، وكان من الصعب الانتقال داخل الأرض المحتلة بدون مراقبة وإذلال وتفتيش (مخافة رد الفعل العربي والفلسطيني)، تقول فدوى: « بالرغم من حرص السلطات العسكرية على إقامة حواجز المنع وعرقلة نشوء أي تفاعل أدبي أو تلاحم فكري بين أبناء الشعب الواحد الذي شطرته المأساة سنة 1948. فكم من مرة حين كنت أدعى إلى المشاركة في مناسبة أدبية وطنية في الناصرة أو القدس مثلا، كانت ولا تزال تُوجَّهُ إليّ الأوامر العسكرية بعدم مغادرة نابلس في ذلك اليوم بالذات»<sup>3</sup>. وتبدأ المقاومة بعد شهرين أو أكثر بقليل، "ويظل الشعر هو الرد الأدبي الأسرع على الأحداث والتحديات" - كما تقول فدوى طوقان - "ذلك بأنه بطبيعته لغة الانفعال والاشتعال العاطفي"، وبدأت بذلك اللقاءات الشعرية السرية بين فدوى والجماهير.

وفي ديسمبر من العام 1968 سافرت إلى مصر وقابلت هناك "أنور السادات"، ثم جمال عبد الناصر، تقول: « في ديسمبر العام 1967 توجهت إلى مصر في زيارة استجمام عادية، دون أن يجري في بالي، وفي حسابي السعي للاجتماع بعبد الناصر»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص7.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص18.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص23.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص48.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

وقد رثت فدوى جمال عبد الناصر بقصيدة إثر وفاته عام 1970، وفي عام 1976 نالت فدوى جائزة الزيتونة، فقد شاركت فدوى في لقاءات شعرية سرية وعلنية. كما أصبحت (كما سبق وأن ذكرنا)، كما أصبحت سفيرة مفوضة بدون حقيبة بين الرؤساء والقيادات العليا من أجل البحث عن المخرج الحقيقي لتحقيق الحياة الكريمة للشعب الفلسطيني، وقد أثارت قصيدة فدوى: "آهات أمام شباك التصاريح" ضجة كبيرة في إسرائيل وتناقشتها وسائل الإعلام والصحافة (لأنها تدعو فيها إلى كراهية إسرائيل). وكانت لفدوى لقاءات واتصالات عن طريق المكاتبة والمراسلة مع مجموعة من اليهود الحاقدين أو المعتدلين لشرح وجهة نظرها وموقفها الرافض لكل احتلال لأرضها.

وقد اكتسبت القضية الفلسطينية بعد اغتيال وائل زعيتر من قبل مخابرات إسرائيل كثيرا من المؤيدين والمتعاطفين مع الشعب الفلسطيني المناضل، كما ساهمت زيارة الفيلسوف الأمريكي "هربرت ماركوز" لفدوى في تعزيز القضية الفلسطينية، وانتهت الزيارة بمراسلات ثنائية بين الشاعرة وماركوز وبين الشاعرة وزوجته حول حيثيات الصراع الفلسطيني/الإسرائيلي وتقول فدوى: «حدثني الصديق صليبا خميس الذي كان في روما يوم ارتكاب الجريمة قال: «إن عددا كبيرا من أدباء إيطاليا الذين عرفوا وائل حق المعرفة وفدوا إلى مطار روما لتوديعه الوداع الأخير يوم نقل جثمان الشهيد إلى دمشق»<sup>1</sup>.

وتذكر فدوى في سيرتها إسهام المرأة الفلسطينية في حركة المقاومة والنضال والكفاح من أجل الحرية، إذ تقول: «لم يغيب حضور المرأة الفلسطينية عن الوجود في قلب النضال منذ الإرهاصات الأولى حتى الآن... بطولات نسائية فلسطينية لا حصر لها...»<sup>2</sup>.

وكان لفدوى مجموعة من اللقاءات مع أسماء ذائعة الصيت في مجال الفكر والثقافة والنضال السياسي مثل الكاتبة المناضلة "باسمة حلاوة" و"داليا ريكوفيتش".

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص132.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص147.

## الفصل الثاني: بلاغة الهرم وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان النضالية

وقبل اشتعال الانتفاضة كانت المؤلفة قد استطاعت أن تصادق بعض الشخصيات اليهودية، لذلك فقد وجدت في انعقاد مؤتمر مدريد شعاعاً من الأمل من التعايش مع اليهود بسلام<sup>1</sup>، إذ تقول: «مع مؤتمر مدريد امتد خيط ضوئي أماناً، فرحنا به، وعقدنا عليه آمالنا وأحلامنا.

وتمر سنة كاملة، تجري خلالها جولات عديدة منفصلة دون الوصول إلى أي اتفاق، لقد ظلت مسارات التفاوض العربية الإسرائيلية تتعثر مع عدم تحقيق شيء<sup>2</sup>. وتأكدت من أن السلام لن يكون إلا بالاستقلال الذي لن يتحقق إلا بعودة النضارة و الخصب للانتفاضة الشعبية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- تهاني عبد الفتاح شاکر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص158.

<sup>2</sup>- فدوى طوقان: الرحلة الأصعب، ص171.

<sup>3</sup>- تهاني عبد الفتاح شاکر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص159.

2- جمالية حضور الشخصيات:

أ- مفهوم الشخصية:

- لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور (مادة شخص): الشَّخْصُ: جَمَاعَةٌ شَخِصِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، مُدَكَّرٌ، وَالْجَمْعُ أَشْخَاصٌ وَشُخُوصٌ وَشِخَاصٌ: وَقَوْلُ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ:

فَكَانَ مَجْنِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي      ثَلَاثَ شُخُوصٍ، كَاعِبَانَ وَمُعْصِرٍ.

فَإِنَّهُ أَنْبَتَ الشَّخْصَ أَرَادَ بِهِ الْمَرْأَةَ<sup>1</sup>.

والشَّخْصُ: سَوَادُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ تَرَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، تَقُولُ: ثَلَاثَةٌ أَشْخُوصٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ رَأَيْتَ جِسْمَانَهُ فَقَدْ رَأَيْتَ شَخْصَهُ<sup>2</sup>.

وتشير الدلالة اللغوية لمفهوم الشخص في المنظور الواقعي الاجتماعي إلى أنه «الإنسان الفرد كما هو موجود في الواقع أي ذلك الإنسان الحي الذي يعيش ويفكر، بمعنى آخر إنه إنسان حي من لحم ودم بجسده»<sup>3</sup>.

- اصطلاحاً:

والحق أن اشتقاق اللغة العربية يعني من وراء اصطناع تركيب: ش خ ص، وذلك كما نفهم نحن العربية على الأقل، من ضمن ما يعنيه، التعبير عن قيمة حية عاقلة ناطقة. فكان المعنى إظهار شيء وإخراجه وتمثيله وعكس قيمته...

ولا يعني أصل المعنى في اللغات الغربية إلا شيئاً من ذلك؛ إذ إن قولهم "Personnage" إنما هو تمثيل وإبراز وعكس وإظهار لطبيعة القمة الحية العاقلة الماثلة في قولهم الآخر "Personne"<sup>4</sup>.

بينما إطلاق الشخصية لا يخلو من عمومية المعنى في اللغة العربية، زبقي الدلالة فارتأينا تمحيصه، لدى الحديث عن السرديات، العنصر الأدبي الذي يطفر في العمل

<sup>1</sup>- ابن منظور: لسان العرب، ص2211 (مادة شخص).

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص2211.

<sup>3</sup>- سوسن البياتي، محمد صابر عبيد: جماليات التشكيل الروائي، دط، دار الحوار، سورية، د/ت/ن، ص171.

<sup>4</sup>- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، دط، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص75.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

السردى ضمن عطاءات اللغة التي يغدونها الخيال للنهوض بالحدث، وللتكفل بدور الصراع داخل هذه اللغة السردية العجيبة<sup>1</sup>.

وفي تعريف جوردون ألبرت هي: «ذلك التنظيم الدينامي الذي يكمن داخل الفرد والذي ينظم كل الأجهزة النفسية الجسمية التي تملئ على الفرد طابعه الخاص في السلوك والتفكير»<sup>2</sup>.

### ب- الشخصية الحكائية: (Le personnage).

إذا كان النص الشكلاني، ممثلاً في أبحاث "فلاديمير بروب" على الخصوص، ونقد علم الدلالة المعاصر، ممثلاً في أبحاث "غريماس"، قد حاولا معا تحديد هوية الشخصية في الحكى بشكل عام من خلال مجموع أفعالها، دون صرف النظر عن العلاقة بينهما وبين مجموع الشخصيات الأخرى التي يحتوي عليها النص، فإن هذه الشخصية قابلة لأن تحدد من خلال سماتها، ومظهرها الخارجي. ولم تغفل الأبحاث الشكلانية والدلالية هذا الجانب وإن كنا نلاحظ أنها توسعت في الجانب الأول، أي جانب الوظائف التي تقوم بها الشخصيات في الحكى<sup>3</sup>.

تتناول القصة أشخاصا عرفناهم والتقيناهم في حياتنا، أو أشخاص جدداً نتعرف عليهم في أثناء قراءتنا للقصة، وقد يكونون من كوكبنا، أو من كواكب أخرى... وربما دارت حوادث القصة حول شخصية واحدة أو أكثر، تكون المحور الذي ترتبط به الوقائع، وأحيانا يولي الكاتب اهتماما أكبر للحوادث التي تطغى على صورة الشخصية، أو هو يعادل بين الشخصية والحادثة، من حيث الأهمية<sup>4</sup>.

وأما (الشخصية الروائية) **Personnage**، فقد كان التصوير التقليدي لها يعتمد على الصفات، مما جعله يخلط كثيرا بين الشخصية الحكائية والشخصية في الواقع العياني. ثم توسع النقد الشكلاني، ممثلاً بأبحاث بروب، في تحديد هوية الشخصية في الحكى من

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 75.

<sup>2</sup> - محمد غنيم: الشخصية، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص 10.

<sup>3</sup> - حميد حميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص 50.

<sup>4</sup> - أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص 156/157.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

خلال مجموع أفعالها التي تقوم بها (الوظائف)، وجاء "زيرافا" فاعتبر الشخصية الحكائية علامة فقط على الشخصية الحقيقية... أم "فيليب هامون" فقد رأى أن الشخصية في الحكى هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص، وأما "رولان بارت" فقد عرّف الشخصية الحكائية بأنها «نتاج عمل تأليفي».

ولا ينظر إليها من وجهة نظر التحليل البنيوي إلا على أنها بمثابة دليل **Signe** له وجهان: أحدهما (دال) والآخر (مدلول)<sup>1</sup>.

### ج- أشكال التقديم: أشكال تقديم الشخصية:

يتم عادة التمييز بين طريقتين في تقديم الشخصية:

- **التقديم المباشر**: حين يكون مصدر المعلومات عن الشخصية هو الشخصية نفسها. بمعنى أن الشخصية تعرف نفسها بذاتها باستعمال ضمير المتكلم، فتقدم معرفة مباشرة عن ذاتها بدون وسيط، من خلال جمل تتلفظ بها هي، أو من خلال الوصف الذاتي مثلما نجد في الاعترافات والمذكرات واليوميات والرسائل.

- **التقديم غير المباشر**: حين يكون مصدر المعلومات عن الشخصية هو السارد، حيث يخبرنا عن طبائعها وأوصافها، أو يوكل ذلك إلى شخصية أخرى من شخصيات الرواية في هذه الحالة يكون السارد وسيطا بين الشخصية والقارئ<sup>2</sup>.

د- **المتكلم في الحكى**: هناك حالتان: إما أن يكون الراوي خارجا عن نطاق الحكى **Narrateur hétéro diégétique**، أو يكون شخصية حكائية موجودة داخل الحكى، فهو إذاً راوٍ مُمَثَّلٌ داخل الحكى **Narrateur homo diégétique** وهذا التمثيل له مستويات، فإما أن يكون الراوي مجرد شاهد متتبع لمسار الحكى، ينتقل أيضا عبر الأمكنة، ولكنه لا يشارك مع ذلك في الأحداث، وإما أن يكون شخصية رئيسية في القصة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص 319.

<sup>2</sup>- محمد بوعزة: تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص 44.

<sup>3</sup>- حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 49.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصوص طوقان الصائبة

فيمكن للكاتب أن يجعل الحكاية تُحكى على لسان إحدى الشخصيات: إنه المحكي بضمير المتكلم، ويمكن أيضاً أن يحكيها على لسان سارد أجنبي عن هذه الحكاية سيكون المحكي هنا بضمير الغائب، النوع الأول يُسمى المتمائل حكائياً، والثاني المتباين حكائياً ويجب أن نميز داخل النوع المتمائل حكائياً بين تنوعين، حسب ما إذا كان أنا المتكلم شاهداً أو بطلاً لحكايته، في هذه الحالة الأخيرة يُسمى السارد ذاتياً حكائياً **Autodiégetique**<sup>1</sup>. إن السارد لا يتبنى خطاباً واحداً في الحكى، كما أن الشخصية لا تتبنى أسلوباً واحداً في الكلام، فكل صيغة تتحقق بخطابات وأساليب مختلفة، ويمكن التمييز بين أربعة مستويات:

- حين يسرد الروائي.

- وحين يصف.

- وحين يُنتج خطاباً.

- وحين ينطق شخصية<sup>2</sup>.

وقد اقترح فيليب هامون مقياساً لمعرفة طريقة عرض الشخصيات هما المقياس الكمي والمقياس النوعي (ينظر الأول إلى كمية المعلومات المتواترة المعطاة صراحة حول الشخصية ويحدد الثاني مصدر تلك المعلومات: هل تقدمها الشخصية عن نفسها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة عن طريق التعليقات التي تسوقها الشخصيات الأخرى أو المؤلف أو فيما إذا كان الأمر يتعلق بمعلومات ضمنية يمكن أن نستخلصها من خلال سلوك الشخصية وأفعالها، فهذا يرجع الأبعاد الجسمية عن طريق السرد بطريقة مباشرة وكيفية تقديم هذه الشخصية سواء مباشرة أو بواسطة الشخصيات نفسها أو عن طريق سلوك الشخصية ومعاملتها مع غيرها.)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- جيرار جينيت وآخرون: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبشير، ص102/103.

<sup>2</sup>- محمد بوعزة: تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص112/113.

<sup>3</sup>- ينظر: سمر روجي الفيصل: الرواية العربية، د/ط، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2003، ص132.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

### هـ - مظاهر الشخصية: <sup>1</sup>.

تبنى الشخصية اطرادا زمن القراءة، من خلال الأفعال التي تقوم بها أو الصفات التي تصف نفسها، أو تسند لها من شخصيات أخرى أو من طرف السارد... ويمكن التمييز بين ثلاث مواصفات:

- مواصفات سيكولوجية: تتعلق بكيونة الشخصية الداخلية (الأفكار، المشاعر، الانفعالات العواطف...).

- مواصفات خارجية: تتعلق بالمظاهر الخارجية للشخصية (القامة، لون الشعر، العينان الوجه، العمر، اللباس...).

- مواصفات اجتماعية: تتعلق بمعلومات حول وضع الشخصية الاجتماعية، وإيديولوجيتها وعلاقتها الاجتماعية (المهنة، طبقتها الاجتماعية: عامل/طبقة متوسطة/ برجوازي/ إقطاعي وضعها الاجتماعي: فقير/غني، إيديولوجيتها: رأسمالي/ أصولي/ سلطة...). لذلك يقتضي التحليل التمييز بين كيونة الشخصيات وأفعالها، بين المواصفات (الصفات) والوظائف (الأفعال) أو بين الملفوظات الوصفية، والملفوظات السردية.

### وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

المنولوج	الحوار	الحكي	الوصف
• ما تقر به الشخصية • الخطاب الذاتي	• ما تقوله الشخصية • محكي الأقوال	• ما تفعله الشخصية • محكي الأفعال	• ما توصف به الشخصية • وصف ذاتي: ما تقدمه الشخصية من أوصاف عن ذاتها • وصف غيري: ما يقدمه السارد أو الشخصيات الأخرى من أوصاف عن الشخصية الموصوفة

<sup>1</sup> - محمد بوعزة: تحليل النص السردى تقنيات ومفاهيم، ص40.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الخطابية في سيرة فدوى طوقان الذاتية

تصنيف هامون	تصنيف بروب	تصنيف سوريو	تصنيف غريماس
شخصيات مرجعية	البطل	البطل	العامل الذات
شخصيات واصلة	البطل المزيف	البطل المضاد	العامل المعاكس
شخصيات متكررة	الآمر	الموضوع	العامل الموضوع
	المساعد	المساعد	المساعد
	المانح	المُرسل	المُرسل
	المغتصب	المُرسل إليه	المُرسل إليه

ولدى قراءة هذا الجدول نتبين أن النقاد اعتمدوا على بعضهم بعضاً، فأخذ اللاحق عن السابق، ودارت تصنيفاتهم حول ستة عناصر تجمع أصناف الشخصيات كلها<sup>1</sup>.

### و- مركزية الأنا في سيرة فدوى طوقان الذاتية:

والحق أن استعمال ضمير المتكلم نشأ متواكباً مع ازدهار أدب السيرة الذاتية، فكأنه امتداد لها، أو كأنها امتدادٌ منه. كما نشأ عن ازدهار حركة التحليل النفسي التي كان تأثيرها عميقاً في الفكر الغربي، إن ضمير المتكلم القريب مع الأنا، نشأ في الغالب، ليتضاد مع البعد التاريخي الذي يجسده ضمير الغائب. ومن أشهر من كان سابقاً إلى اصطناع ضمير المتكلم في فرنسا، "بروست" و"سيلين" من أجل الارتقاء بالعمل السردى إلى مستوى الشهادة<sup>2</sup>.

كما أن كتابة السيرة الذاتية التي تتعامل مع الحميمية الذاتية روجت لهذا الضمير في الانتشار، ولفتت انتباه النقاد إلى جمالية ضمير المتكلم الذي يمكن استعماله في مواقف لا يمكن أن يُستعمل فيها ضمير الغائب<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- محمد عزام: شعرية الخطاب السردى دراسة، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص17.

<sup>2</sup>- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص162/163.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص163.

### ز - جمالية حضور الشخصيات في رحلة جبيلة رحلة صعبة:

تتأسس جمالية حضور الشخصيات في هذه السيرة الذاتية على مركزية ضمير المتكلم (أنا) فهي الشخصية الرئيسية التي تدور جميع الأحداث والشخصيات في فلكها وفي الوقت نفسه تترد انعكاسات أفعال الآخرين عليها، فتترك أثرها في حياتها، ففدوى تشير إلى جميع الشخصيات المذكورة في سيرتها بقولها: « لقد لعبوا دورهم في حياتي، ثم غابوا في طوايا الزمن»<sup>1</sup>.

وبتأثير الآخرين كانت شخصية فدوى تترجح بين الضعف والقوة، فقد كانت في طفولتها لا تجرؤ على التعبير عن رغباتها، أو الدفاع عن نفسها أمام ظلم وقسوة الآخرين، لقد كانت فدوى متعطشة لحنان أبويها، فكانت تتوق لنوبات حمى الملاريا، فهي التي تجلب اهتمام أمها لها وتقربها منها، فتشعر بحنانها ورعايتها في أوقات مرضها فقط.

تقول فدوى: «إن المشاعر المؤلمة التي نكابدها في طفولتنا نظل نحس بمذاقها الحاد مهما بلغ بنا العمر»<sup>2</sup>، لذلك كانت شخصيتها في طفولتها ضعيفة، تقول: « لم تكن الظروف الحياتية التي عاشتها طفولتي مع الأسرة لتلبي حاجاتي النفسية، كما أن حاجاتي المادية لم تعرف في تلك المرحلة الرضا والارتياح»<sup>3</sup>. وعند دخولها إلى المدرسة أصبحت تشعر بالثقة بالنفس، بسبب ما وجدته من رعاية معلماتها، تقول: «لا أذكر أن واحدة من معلماتي تركت في نفسي ذكرى جارحة أو أثراً لمعاملة سيئة على مدى السنوات القليلة التي أمضيتها في المدرسة، لقد أشبعت المدرسة الكثير من حاجاتي النفسية التي ظلت جائعة في البيت أصبحت أتمتع بشخصية بارزة بين معلماتي و زميلاتي»<sup>4</sup>. ما كان ينقصها هو التشجيع من الآخرين، ونلمح في شخصية فدوى طوقان ميلها إلى الحزن فشخصيتها حزينة متألمة وبعد أن كبرت فدوى ومع بداية مرحلة النضج حدث تطوراً كبيراً في شخصيتها، فقد بدأت تهتم بسلوكها وبكل ما هو لائق، وقد أحبت فدوى طوقان ذلك الفتى الذي أهداها زهرة فل

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص7.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص21.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص18.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص53.

## الفصل الثاني: بلاغة الهرم وجماليته الوظيفية في سيرة فطوح طوقان الصائبة

وشعرت بأن هناك من يهتم بها ويحبها، لكن سعادتها لم تدم كثيراً بعد أن وشى أحدهم إلى أخيها يوسف كما سبق وأن ذكرنا، وأصبحت فدوى تشعر بأنها مستلبة الحرية مثلها مثل أمها وباقي الحريم، ولقد فكرت في الانتحار بسبب إحساسها بالظلم، لكنها تراجعت عن ذلك فيما بعد، تقول فدوى في هذا الصدد: « كان الانتحار هو الشيء الوحيد الذي يمكنني أن أمارس من خلاله حريتي الشخصية المستلبة، كنت أريد التعبير عن تمردني عليهم بالانتحار... الانتحار هو الوسيلة الوحيدة، هو إمكانياتي الوحيدة للانتقام من ظلم الأهل... كنت أشفق على أمي، فقد كانت تقف بجانبها دائماً كلما وقع علي الظلم من أحدهم، ولكنها بشخصيتها التي أضعفها القهر لم تكن لتستطيع أن تدفع عني أمراً مقضياً<sup>1</sup>. وعند عودة إبراهيم إلى نابلس بعد أن أنهى دراسته ببيروت، وجدت فدوى في العمل على خدمته راحة كبيرة، وبدأ هو الآخر يعلمها الشعر، واستطاع أن يملأ فراغها بالعمل وكانت هذه المرحلة مرحلة جديدة في حياتها (فبدأ التكوين الثقافي للشاعرة).

أقبلت فدوى على قراءه الكتب الأدبية: « في استغراقي في عالمي الجديد عرفت مذاق السعادة، كنت مستغرقة في عملية خلق نفسي، وبنائها من جديد، والبحث الطموح عن إمكانياتي وقدراتي مما شكل ثروة وجودي<sup>2</sup>. كما تعلمت اللغة الإنجليزية على يد شقيقها نمر.

وفي مطلع الخمسينات تسنى لها أن تطور شخصيتها الثقافية، إذ بدأت تختلط بالمجتمعات المثقفة، فتجالس الأدباء والشعراء، وغيرهم من المثقفين<sup>3</sup>.

أما السمات العامة لشخصية فدوى طوقان؛ فإنها كانت تتحلى بقوة الإرادة والتصميم وكانت متعطشة للحرية، وربما كان الافتقار إلى هذه الحرية من الأسباب التي جعلتها دائمة الميل إلى الحزن، واختلاق أسبابه<sup>4</sup>. كما كانت تميل إلى التغيير والتجديد، تقول: « كانت

1- المصدر السابق، ص58/57.

2- المصدر نفسه، ص76.

3- تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص108.

4- المرجع نفسه، ص110.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الذاتية

هناك بذرة صغيرة تأبى الاكتفاء بذاتها، وتتزع إلى التجدد والتغير، تتزع إلى أن تصير شيئاً آخر فهي تأبى الثبوت والاستقرار»<sup>1</sup>.

في السيرة الذاتية يستخدم ضمير المتكلم (أنا) مثل ما هو الحال في سيرة فدوى طوقان الذاتية، لأن المؤلفة هنا تسرد وقائع حقيقية حدثت في حياتها، فلقد نشأ ضمير المتكلم فنياً في السيرة الذاتية أي عن شكل سردي ذاتي له صلة وثقى بالواقع الخارجي<sup>2</sup>.

أما الضمائر الأخرى الموظفة فنجد ما يدل على شخصية الأخ الأكبر (أحمد)، تقول فدوى طوقان: «أما أخي أحمد فقد كان يرفع دائماً ذلك الحاجز الذي يرفعه الأخ الكبير بينه وبين إخوته، وكانت له علينا سيطرة الأب، فكانت علاقتي به يغلب عليها صفة الانكماش والتهيب والكلفة»<sup>3</sup>. ومن الشخصيات المرهوبة كذلك نجد شخصية الأب، وأبناء العم، وقد كانت فدوى ترى فيهم رموزاً للسلطة الظالمة، ولذلك لم تحبهم، تقول: «أما الجو العائلي فيسيطر عليه الرجل كما في كل بيت وعلى المرأة أن تنسى وجود لفظة (لا) في اللغة إلا حين شهادة (لا إله إلا الله) في وضوئها وصلاتها»<sup>4</sup>.

وفي العام 1948 توفي الأب، فلم تترك وفاته أي أثر في نفس فدوى، بل ربما كان موته بداية انطلاقها وخروجها إلى الحياة العامة<sup>5</sup>.

ومنه أيضاً الشخصية المتعاطفة مع المرأة، هذه الشخصيات تمتلك حساً إنسانياً يجعلها تتعاطف مع وضع المرأة بصفة عامة وفدوى طوقان بصفة خاصة مثل شخصية العم، تقول فدوى: «تظل ذكرياتي عن عمي واضحة مادامت تتصل بتلك المداعبات والمشاكسات الحلوة»<sup>6</sup>. أما شخصية الأخ، فقد كان لفدوى خمسة إخوان: أحمد الأخ الأكبر إبراهيم يوسف، رحمي ونمر. أما شخصية إبراهيم (وهو الشاعر الفلسطيني المعروف)، كان متعاطفاً مع فدوى، وجدت فيه فدوى عطف الأب ورعايته، رغم أن ظروف دراسته وعمله كانتا

<sup>1</sup>- فدوى طوقان: رحلة جبالية، رحلة صعبة، ص 99.

<sup>2</sup>- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص 161.

<sup>3</sup>- فدوى طوقان: رحلة جبالية، رحلة صعبة، ص 104.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص 40.

<sup>5</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكور: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص 113.

<sup>6</sup>- فدوى طوقان: رحلة جبالية، رحلة صعبة، ص 28.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

تجبرانه على الرحيل والابتعاد عن نابلس، تقول فدوى: «وتشبت قلبي بإبراهيم تشبت الغريق بمركب الإنقاذ، على غير عادة رجال الأسرة، كان يجلس معنا نحن، أمه وشقيقاته، يبادلنا الحديث...»<sup>1</sup>. وتقول: «في تلك الفترة القاسية من سني مراهقتي كانت يدا إبراهيم هي حبل السلامة الذي تدلى وانتشلي من بئر نفسي الموحشة المكتنفة بالظلام»<sup>2</sup>.

والى جانب هذه الشخصية نجد شخصية الأخ (نمر)، الذي كان موقفه مساندا لفدوى ووجدت فيه البديل لإبراهيم بعد وفاته، ولكنه توفي هو الآخر وترك فراغا رهيبا لفدوى تقول: «كان نمر شقيقي وصديقي وحببي، يحس بما أعانيه في حياتي، يتعاطف معي ويهتم باهتماماتي، كان مولعا بالشعر والموسيقى بالرغم من تخصصه في علم الأمراض "باتولوجي"، كان يحثني دائما على الاهتمام بالأدب العالمي، وكان أول معلم تلقيت على يديه بداياتي الأولى في دراسة اللغة الإنجليزية»<sup>3</sup>.

ومن الشخصيات الأخرى شخصية الصديق ولقد كانت فدوى منذ بداية مرحلة النضج تتوق لصداقة الشخصية الذكورية، وبعد عام 1948 عندما أتيح لها الاختلاط بالمجتمعات الذكورية حرصت على صداقة الشخصية الذكورية المثقفة، مثل الشاعر كمال ناصر الذي كان في بداية الخمسينات نائبا في البرلمان الأردني، ورجا العيسى الذي كان يحتل منصب رئيس تحرير جريدة فلسطين، وغيرهم من المثقفين في فلسطين وفي العالم العربي كافة ومن أصدقاء فدوى الذين اهتمت بالحديث عنهم، شخص رمزت له بالحرفين (AG) وهو رفيقها أثناء إقامتها في بريطانيا<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص61.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص63.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص210.

<sup>4</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكور: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص118/119.

## الفصل الثاني: بلاغة الهرم وجماليته الخطابية في سيرة فصول طوقان الصائبة

ويمكن أن نميز أيضا بين ثلاثة نماذج للشخصيات النسوية في سيرة فدوى وهي<sup>1</sup>:

- نموذج الأنثى المقهورة، وتمثله: الأم والأخت.
- نموذج الأنثى المتسلطة، التي تمثل رمزا من رموز القهر والاستبداد ويتجسد في السيرة بشخصيتي: العمة وابنة العم.
- نموذج المرأة التي تنعم بقدر من الحرية، وتمثله الخالة أم عبد الله، والصديقة علياء ومعلومات فدوى.

تصف فدوى أمها، تقول: « لم تكن أمي قاسية بالطبيعة، بل كانت شديدة الحساسية سريعة الاستجابة لدواعي البكاء والحزن، كما كانت سريعة الانقياد إلى المرح والغناء والضحك، كانت ذات مزاج انبساطي منفتح للعلاقات البشرية، فلم تكن تقدر على التمتع بالحياة بدون التواصل مع الناس»<sup>2</sup>. وبفعل القيود الصارمة التي كانت مفروضة على نساء المنزل فقد تسرب إليها خيط من الشقاء، تقول فدوى: «غير أنني كنت أحس بوجود خيط من الشقاء اللامنظور يمتد في أعماقها، وحين كبرت عرفت مصدر ذلك الشقاء، إنه الحصار والقهر الاجتماعي المفروض على المرأة في بيتنا». كم تصف فدوى جمال أمها: «فقد كانت إلى جانب جمالها ذي السمات التركبية التي ورثتها عن أمها، تمتاز بخفة روح نادرة». وتقول: « كانت تبدو مثل حورية خرافية»<sup>3</sup>. ومع أن الأم كانت مثقفة فقد عجزت عن فهم نفسية الابنة، لذلك لم تستطع تلبية حاجاتها النفسية، مما جعل مشاعر الابنة نحوها متناقضة<sup>4</sup>.

كما نجد من نماذج هذه الشخصية المتسلطة، شخصية العمة "الشيخة": هي شخصية معقدة، تتخذ من الدين وسيلة فرض سلطتها تقول عنها فدوى: « في السادسة عشرة من عمرها عادت الشيخة إلى بيت أبيها مطلقة بعد زواج فاشل دام لعدة شهور قليلة، وفي أيام شبابها اتخذت من طريقة الشيخ عبد القادر الكيلاني ملاذا دينيا تهرب إليه من إحباطها

<sup>1</sup>- المرجع نفسه، ص119.

<sup>2</sup>- فدوى طوقان: رحلة جبلية، رحلة صعبة، ص25/24.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص26.

<sup>4</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكور: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص131.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

النفسي بفعل الزواج الفاشل»<sup>1</sup>. وكانت تكره والده فدوى وإخوانها كرها شديدا باستثناء أحمد بسبب خلاف قديم، تقول فدوى: « ولكن الشيخة ظلت تحمل لأمي ولنا- باستثناء أخي أحمد- كرها موروثا»<sup>2</sup>.

وتقول فدوى: « منذ فتحت عيني على الدنيا لم أعرف (الشيخة) إلا وهي صاحبة الهيبة والسلطة، والبوليس السري الذي يعمل لحساب أرباب العائلة ويقدم لهم التقارير بما يجري في البيت وكان في تلك التقارير الكثير من السم المدسوس»<sup>3</sup>.

لقد كانت عمة فدوى (الشيخة) قاسية، ولعل وجود مثل هذه الشخصية المتدنية القاسية في طفولتها، كان من الأسباب التي أبعدها عن الدين الإسلامي و تعاليمه<sup>4</sup>.

ونجد أيضا من بين هذه الشخصيات شخصية الخالة، واسمها "أم عبد الله"، لم يكن لها أبناء، وكانت تصطحب فدوى معها أيام الأفراح الاجتماعية، ومنحت فدوى الحب والحنان تقول فدوى: «كنت قد التصقت بخالتي أكثر من التصاقي بأمي»<sup>5</sup>. وكانت ترشدها بكل حب وعطف، تقول فدوى: « وقد لفت نظر خالتي الطريقة الغير طبيعية التي صرت أتخذها وأنا أمشي أو أجلس وأخذت بحنوها المعهود، تطلب مني أن أرفع رأسي وأمشي بقامة منتصبة»<sup>6</sup>.

### ي- جمالية حضور الشخصيات في الرحلة الأصعب:

بعد نكبة عام 1967 تغيرت شخصيتها تغيرا تاماً، إذ تلاشت همومها الخاصة وأصبحت مسكونة بالهم الجماعي، و بقضية فلسطين، ومما لا شك فيه أن هذا التغير الذي حدث في شخصيتها لم يكن مفاجئاً، بل كان مسبقاً بإرهاصات كثيرة، بدأت عام 1948 عندما اتصلت بالجماعة، وبدأت تشعر بالذنب لأنها لا تعيش مواقفها وهمومها، فهذا

<sup>1</sup> فدوى طوقان: رحلة جبلية رحلة صعبة، ص32.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص33.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص32.

<sup>4</sup> تهاني عبد الفتاح شاكرو: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص104.

<sup>5</sup> فدوى طوقان: رحلة جبلية، رحلة صعبة، ص28.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص56.

## الفصل الثاني: بلاغة الهرم وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

الإحساس بالذنب هو الذي شكل البذرة الأساسية التي ظلت تنمو، وتكبر في نفسها، حتى جعلت شخصيتها "أكثر حميمية واتصالاً بالشأن العام"<sup>1</sup>.

تقول فدوى: «كنت في عصر اليوم السابق قد مضيت إلى القدس استجابة للنداء التلفوني من "الصديق الغريب" هناك، حيث اقترح علي المغادرة إلى عمان أو بيروت فالحرب وشيكة الوقوع، وهذا شيء مؤكد، ولكن أعلنت رفضي القاطع لفكرة الهرب»<sup>2</sup>. والمؤلفة تعتني عناية كبيرة بتصوير الجانب الإنساني من شخصيتها، ذلك الجانب الذي ظهر في الجزء الأول من سيرتها، في تعاطفها مع الفقراء، فهو يظهر في هذا الجزء في نظرتها للأطفال، وخوفها عليهم من الحرب<sup>3</sup>. ولأبناء شعبها ذكورا وإناثاً، بل تمتد لتشمل أصدقائها اليهود الذين عرفتهم عن قرب، أولئك الذين لمست فدوى دفاء قلوبهم وصدق إنسانيتهم.

واستطاعت فدوى أن تحتل مكانة أدبية مرموقة في العالم كله، فقد ترجمت بعض قصائدها إلى لغات أجنبية عديدة، كما أنها حصلت جائزة الزيتونة في عام 1978، إذ تقول: «في عام 1978 نلت شرف الجائزة، نلتها على أساس (شاعرة لها قضية)، تولى مكتب الجامعة العربية في روما نشر قصائدي المترجمة في كتاب وُرِّعَ في حفلة توزيع الجوائز التي تقام عادة في دار الأوبرا في مدينة "باليرمو" الإيطالية»<sup>4</sup>.

ولقد تشكل الوعي السياسي عند المؤلفة في مرحلة متأخرة لذلك لم تكن شخصيتها السياسية ناضجة كما يجب، وظلت متأثرة بطبيعتها العاطفية، التي لم تساعدها على بناء شخصية سياسية قوية<sup>5</sup>.

وتضمنت "الراحلة الأصعب" شخصيات ذكورية ومن نماذجها<sup>6</sup>، شخصية الرجل السياسي كشخصية "موشيه دايان" (وزير الحربية)، وهو شخصية خطيرة جداً، تقول فدوى: «في بيت جالا استدعي رئيس البلدية إلى دائرة الحاكم ليستمع إلى دايان منذراً إياه من تكرار تنظيم

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص159.

<sup>2</sup>- فدوى طوقان: الرحلة الأصعب، ص7.

<sup>3</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكور: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص160.

<sup>4</sup>- فدوى طوقان: الرحلة الأصعب، ص156.

<sup>5</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكور: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص163.

<sup>6</sup>- المرجع السابق، ص164.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان النضالية

مثل ذلك اللقاء الشعري مع الجماهير في بيت جالا، أو بيت لحم ، حيث الهدوء و استتباب الأمن " فحذار من اللجوء إلى مسببات التهيج و الإثارة في هذه المنطقة»<sup>1</sup>.

وكان يتتبع كل الأخبار، فقد طلب من فدوى أن تبوح بما دار بينها وبين جمال عبد الناصر(في اللقاء الثاني بينهما)، وقد كان يمانع من نشر قصائد فدوى التي قال عنها: « ثم هناك تلك الشاعرة لديكم والتي تكفي قصيدة من قصائدها لخلق عشرة من رجال المقاومة»<sup>2</sup>، وشخصية "ديان" تقف في سيرة فدوى على الجانب المناقض لشخصية جمال عبد الناصر، الذي كان يتسم بالتواضع والحرص على مصلحة الشعب الفلسطيني خاصة والعرب عامة، إذ كان همه الأول هو انتزاع إسرائيل من قلب الوطن العربي...

أما أنور السادات فيبدو أنه كان يتمتع بحنكة سياسية واضحة إذ استطاع أن يدعو فدوى إلى بيته، و يعرف منها ما دار بينها وبين "دايان" دون أن يشعرها أن دعوته لها كانت من أجل تبين هذا الأمر<sup>3</sup>.

وشخصية وائل زعيتر: تقول عنه فدوى: « وائل زعيتر الإنسان الذي احتشد في قلبه وفكره الوطن والقضية والقمة العليا... والذي رفض استلام مسدس قُدِّم إليه ليكون عوناً على حماية حياته في حالة المواجهة مع خطر مداهم»<sup>4</sup>. وهو مثل حركة التحرير الفلسطينية في روما، اغتاله الصهاينة بحجة أنه خبير متفجرات (رغم أنه كان مسالماً).

و شخصية الصديق الغريب: لم تشأ المؤلفة أن تخبرنا باسمه، وهو شخصية غامضة "وما يؤكد أنه شخصية سياسية ، أنه كان على علم بموعد وقوع الحرب فحذّر فدوى منها"<sup>5</sup>.

ويمكن أن نميز أيضا بين شخصية المثقف العربي، وغير العربي فالمثقف أو الأديب العربي في سيرة فدوى، هو شخص يعي أبعاد القضية الفلسطينية، ويؤمن بحق الفلسطينيين بالحرية، والاستقلال، أو هو أديب فلسطيني يوظف قلمه في الدفاع عن أرضه وقضيته

<sup>1</sup>- فدوى طوقان: الرحلة الأصعب، ص38.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص39.

<sup>3</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكور: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص165.

<sup>4</sup>- فدوى طوقان: الرحلة الأصعب، ص127.

<sup>5</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكور: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص166.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الصائبة

وهذا الأمر يجعل التواصل بينه وبين المؤلفة سهلاً ميسوراً، فاجتماع القلوب على قضية واحدة يؤلف بينهما<sup>1</sup>، تقول فدوى: «كان وجه القاص الفلسطيني "توفيق فياض" من أوائل الوجوه التي هلت علي في ذلك الحين وانعدت بيني وبينهم صلة مودة وصدقة، كان حينئذ يقاسم محمود درويش وسميح القاسم السكنى في البيت نفسه، وكان ثلاثتهم يتقاسمون الجوع والحياة الصعبة»<sup>2</sup>.

وتفتخر المؤلفة بصداقتها لبعض اليهود، إذ تقول: «يسرني، ويسعدني أنني أتمتع بصداقتي، ومحبتني لعدد من اليهود الذين عرفتهم عن قرب»<sup>3</sup>. ومن هؤلاء الأديب "مردخاي أب شاؤول" والفيلسوف "أبو اليسار الجديد"، "هربر تماركوز" والكاتب "ديفيد كروسمان". وهناك أيضاً شخصية المرأة المناضلة مثل شخصية "رندة النابلسي"، تقول: «التحقيق كان غاية في الوحشية والمحققون لا يمتنون إلى لبشرية بصلة، لقد ذقنا الكثير هنا وجُلدنا بالسياط وضربنا بالحائط، وشدّ شعرنا...»<sup>4</sup>.

أما شخصية الصديقة: تقول تهاني عبد الفتاح شاكراً: «وصديقات فدوى دائماً على قدر من الثقافة، ويحملن بين ضلوعهن قلوباً تتبض بالمشاعر الإنسانية التي تتناسب مع شخصيتها فالإنسان يسعى دائماً إلى صداقة الأشخاص الذين يتألفون معه فكراً وروحياً، ومن صديقاتها "سلمى ماضي"، والتي كانت تجعل من بيتها ملتقى لشعراء المقاومة، يجتمعون فيه ويتحاورون في قضايا الوطن، وينشدون الشعر»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص167.

<sup>2</sup>- فدوى طوقان: الرحلة الأصعب، ص17.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص103.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص 150/149.

<sup>5</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكراً: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص172.

3- آلية التوظيف الزمكاني وفنياته:

3-1- مفهوم الزمان:

أ- لغة: إن الزمن من منظور معجمي معناه:

الزَّمان: هو مقدار حركة الفلك الأطلس عند الحُكماء، وعند المتكلمين: عبارة عن مُتَجَدِّدٍ معلوم يُقَدَّرُ به مُتَجَدِّدٌ آخر موهوم، كما يقال: "أتيتك عند طلوع الشمس"، فإن طلوع الشمس معلوم، ومجيئه مَوْهوم، فإذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإيهام<sup>1</sup>.

وجاء في لسان العرب:

زَمَنٌ: الزَّمانُ والزَّمانُ: اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المُحَكِّم: الزَّمانُ والزَّمانُ العَصْرُ، والجمع أَزْمُنٌ وَأَزْمَانٌ وَأَزْمِنَةٌ<sup>2</sup>.

ب- مفهوم زمن السرد اصطلاحاً:

إذا الشخصيات، الفواعل تقوم بأفعال وأحداث، فمعنى ذلك أنها جميعاً تتأطر في زمان ومكان محددين، وبحسب الصيرورات التي تتحقق فيها الأفعال، وهي تقع والشخصيات وهي تتحرك، يكتسب الزمان بُعداً الحقيقي باعتباره، وفي آن معاً إطاراً للفعل وموضوعاً للتجربة. ومن خلال هذه العلاقة يمكن الحديث عن الزمانية **La temporalité** باعتبارها كما يسجل ذلك "جان بويون" ليست شيئاً موجوداً، أو كائناً، ولكنها «الطابع الذي يأخذه كل ما يتحقق في الزمان»، ويتجلى هذا الطابع كما يوضح ذلك "بنفنست" من خلال تمييزه بين مفهومين للزمان:

- الزمان الفيزيائي للعالم.

- زمان الأحداث<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، د/ط، دار الفضيلة، القاهرة، 2004، ص99، (باب الزاي).

<sup>2</sup> ابن منظور: لسان العرب، ص1867، (مادة زمن).

<sup>3</sup> سعيد يقطين: قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997 ص161.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

ويمكن أن نضيف نوعاً ثالثاً يختلف عن السابقين وهو الزمان الذي يتجلى بواسطة اللغة، وينعته "بنفست" بالزمان اللساني... كان للتمييز الذي أدخله الشكلايون الروس داخل العمل الحكائي بين المادة الحكائية (القصة)، وطريقة تقديمها (الخطاب)، دوره الكبير في تحليل الزمان في الأعمال الحكائية المختلفة هذا التمييز أعطاه "بنفست" بعده اللساني... وانتهى إلى إبراز أن هناك مستويين متميزين للتلفظ. يظهر المستوى الأول في حكي الأحداث الماضية، حيث تقدم الأحداث بدون تدخل المتكلم (الحكي)، ويبدو الثاني من خلال التلفظ الذي يسعى من خلاله المتكلم إلى التأثير في المخاطب، وينعته باسم الخطاب<sup>1</sup>.

فالحقيقة في السرد تعتمد على الزمان، وهناك كما يقول "ريكوير"، ثلاث فترات زمانية ضرورية لتأليف القصة، سواء أكانت القصة صحيحة أم غلطاً، الأولى هي حالة البداية، حين يجد الناس أنفسهم في وضعية يريدون تغييرها أو فهمها لا غير، وهذا هو زمان التصور السبقي، ونستطيع بما لدينا من معرفة بالممارسة الاجتماعية والميول الإنسانية، أن نتخيل ما يحتمل حدوثه، ثانياً وأن نخطط للتدخل، إذا بدا ذلك حكيماً، لتؤثر في النتيجة الزمان الثاني هو زمان الفعل أو التصوير، فنحن نحاول، والأحداث تتكشف أن نفعّل أو أن نفهم، وأخيراً هناك إعادة التصوير فنحن نسترجع ما حدث متتبعين الخطوط التي أدت إلى النتيجة<sup>2</sup>.

لقد اكتشف "فيوتسكي" أن نظام تتابع العناصر أو الأحداث، يقوم على نظام السلسلة بين ثلاثة منها، وهي (أ ب ج) بما يشبه أي نظام آخر للأصوات "أ ب ج" أو للكلمات "أ ب ج"، فإن جماليته لا بد لها أن تتغير إذا ما رُتبت بالطرق التالية "ب ج أ" أو "ب أ ج" أو "ج أ ب" أو "ج ب أ" وقد أورد في ضوء هذا المقترح مثالا يجعلنا نعتقد بأن لترتيب الأحداث أثراً جمالياً يخلخل عملية الاستقبال السلبي، غير أنه لا يؤدي إلى رقي المعنى أو اختلافه، إذ أن اللعب بالأزمنة داخل القصة عمل جمالي بحت لا يؤثر على الأحداث

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص162.

<sup>2</sup>- والاس مارتن: نظريات السرد الحديثة، تر: حياة جاسم محمد، 998، ص98/97.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

من حيث الماهية والجوهر، وإنما من حيث الصياغة والترتيب "أي بمعنى آخر" إن كاتب القصة أو بالأحرى راويها عندما يتلاعب بالنتابع الزمني أو المنطقي للأحداث من حيث التقديم والتأخير والقلب والإبدال والتضمين والنقطيع فإنما يسعى لإيجاد نوع من التأثير الفني المباشر على قرائه ومستمعيه<sup>1</sup>.

أما في (الزمن الحكائي) فيميز "جيرار جينيت" في كل رواية زمنين: زمن السرد وزمن القصة، فزمن السرد لا يتقيد بتتابع منطقي، بينما يخضع زمن القصة لتتابع المنطقي للأحداث، وقد يستبق زمن السرد الأحداث بحيث يتعرف القارئ إلى وقائع قبل حدوثها في زمن القصة، وقد يسترجع أحداثاً ماضية<sup>2</sup>.

ودراستنا للزمن السردية، تعني أساساً دراسة العلاقات القائمة بين زمن المدلول وزمن الدال؛ بين زمن القصة التي وقعت بالفعل، وزمن السرد الذي يعيد صياغتها، لا كما وقعت وإنما كما يريد السارد، تركيزاً على أحداث، وتركاً لأحداث، تبعاً لأهمية بعضها أو عدم أهميتها؛ فإذا كان زمن القصة تاريخي بمعنى أن يخضع للتتابع المنطقي للأحداث وفقاً لتسلسلها الزمني، فإن زمن السرد لا يخضع لأي قيد من ذلك؛ مما يؤدي إلى حدوث ما أطلق عليه **Genette** اسم المفارقات الزمنية (**Anachronies**) الذي يعني مختلف أشكال التنافر الزمني بين ترتيب القصة، و ترتيب الحكاية<sup>3</sup>.

إن دراسة النظام الزمني لقصة ما، هو مقارنة ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردية، بنظام ترتيب هذه الأحداث في الحكاية، وتستدعي هذه المقارنة وجود نقطة تكون "نقطة الصفر" التي يتفق الزمان وغالباً ما تكون هذه النقطة هي نقطة انطلاق الرواية، وإذا كان الترتيب القصصي واضحاً، إن الأمر لا يختلف بالنسبة لترتيب الزمني، إذ أن الإشارات الدالة على الزمن، كقيلة بتوضيح غوامضه، ولا يمكن أن يتحد النظامان أو يتفقا، إلا إذا كان ترتيب الأحداث في القصة موافقاً لترتيبها في الحكاية، أما الاختلاف

<sup>1</sup> سلمان كاصد: الموضوع والسرد مقارنة بنيوية تكوينية في الأدب القصصي، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن 2002، ص271/272.

<sup>2</sup> محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص319.

<sup>3</sup> محمد مشرف خضر: بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص76.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

فيأخذ صورتين فهو إما رجوع إلى الوراء، أي تأخر في السرد بالنسبة للتطور الزمني للحدث أو استباق لهذا التطور، أي تقدم في السرد على حساب التسلسل الزمني<sup>1</sup>.

ويرى "تودوروف" أن الزمن عنصر يسمح بالانتقال من مستوى الخطاب إلى مستوى التخيل، ويميّز بين مظهرين أساسيين للزمن هما زمن الأحداث، وزمن الخطاب، ويستعير "تودوروف" الفرضيات الشكلانية التي تميّز بين نظام تتالي الأحداث، وبين نظام ترتيبها الخطاب، كما يستفيد من تقسيمات "جيرار جينيت **Gérard Genette**"، ويعطينا مجالات دراسة الزمن فيحددها ضمن مقولات النظام والمدة و التواتر:

ففي مستوى النظام الزمني (**Ordre**) نجد شكلين للحضور هما: الاسترجاع أو العودة إلى الخلف (**Rétrospections**)، والاستشراف (**Prospections**) أو التوقع المستقبلي، أما في مستوى المدة (**Durée**) فإن "تودوروف" يقترح التوصيفات الزمنية الآتية:<sup>2</sup>

- تعليق الزمن أو الاستراحة (**Pause**): وتكون عندما لا يشتمل زمن الخطاب على زمن حدثي، ويكون مجالاً للوصف أو التأمل.

للزمن أهمية في الحكى، فهو يعمق الإحساس بالحدث وبالشخصيات لدى المتلقي، عادة يميز الباحثون السرديات البنيوية في الحكى بين مستويين للزمن:

- زمن القصة: وهو زمن وقوع الأحداث المروية في القصة، فكل قصة بداية ونهاية، يخضع زمن القصة للتابع المنطقي.

- زمن السرد: هو الزمن الذي يقدم من خلاله السارد القصة، ويكون بالضرورة مطابقاً لزمن القصة، بعض الباحثين يستعملون زمن الخطاب بدل مفهوم زمن السرد على خلاف زمن القصة الذي يخضع للترتيب الطبيعي المنطقي.

خاصية زمن السرد أنه لا يطابق الترتيب الطبيعي للأحداث في القصة، وهذا ما يُسمى بالمفارقات الزمنية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية لرواية جهاد المحبين (جرجي زيدان نموذجاً)، ط1، دار الأفاق، الجزائر، 1999، ص 44/45.

<sup>2</sup> عمر عبلان: في مناهج تحليل الخطاب السردية، ط1، دار الكتب الحديث، القاهرة، 2011، ص75.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

ومعناها يتأسس حين يخالف زمن السرد ترتيب أحداث القصة، سواء بتقديم حدث على آخر، أو استرجاع حدث، أو استباق حدث قبل وقوعه<sup>2</sup>.

وتتميز الاختلالات الزمنية بالمدى والاتساع، المدى هو المسافة الزمنية الفاصلة بين اللحظة التي يتوقف فيها المحكي، واللحظة التي يبدأ منها الاختلال الزمني<sup>3</sup>.

وكل مفارقة سردية يكون لها مدى (**Portée**) و اتساع (**Amplitude**)، فمدى المفارقة هو المجال الفاصل بين نقطة انقطاع السرد، وبداية الأحداث المسترجعة أو المتوقعة، يقول "جيرار جينيت" حول هذه النقطة: «إن مفارقة ما، يمكنها أن تعود إلى الماضي أو إلى المستقبل وتكون قريبة أو بعيدة عن لحظة "الحاضر" أي عن لحظة القصة التي يتوقف فيها السرد من أجل أن يَفْسَحَ المكان لتلك المفارقة، إننا نسمي "مدى المفارقة" هذه المسافة الزمنية، ويمكن للمفارقة أن تغطي هي نفسها مدة معينة من القصة تطول أو تقصر، وهذه المدّة هي ما نسميه "اتساع المفارقة"»<sup>4</sup>.

### ج- إيقاع السرد/ الزمن من حيث البطء و السرعة:

يتحدّث إيقاع السرد من منظور السرديات بحسب وتيرة سرد الأحداث، من حيث درجة سرعتها أو بطئها. في حالة السرعة يتقلّص زمن القصة ويُختزل ويتم سرد أحداث تستغرق زمناً طويلاً في أسطر قليلة أو بضع كلمات، بتوظيف تقنيات زمنية سردية، أهمّها الخلاصة **Sommaire** والحذف **Ellipse**. وفي حالة البطء يتم تعطيل زمن القصة وتأخيرها ووقْفُ السرد بتوظيف تقنيات سردية مثل المشهد **Scène** و الوقفة **Pause**<sup>5</sup>.

• **تسريع السرد:** يحدث تسريع إيقاع السرد حين يلجأ السارد إلى تلخيص وقائع وأحداث فلا يذكر عنها إلاّ القليل، أو حين يقوم بحذف مراحل زمنية من السرد فلا يذكر ما يحدث فيها مطلقاً.

<sup>1</sup> - محمد بوعزة: تحليل النص السردية، ص88/87.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص88.

<sup>3</sup> - جيرار جينيت و آخرون: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، ص124.

<sup>4</sup> - حميد لحميداني: بنية النص السردية، ص74/75.

<sup>5</sup> - محمد بوعزة: تحليل النص السردية تقنيات ومفاهيم، ص92.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

• الخلاصة **Sommaire**<sup>1</sup>: تعتمد إلى سرد أحداث ووقائع يُفترض أنّها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات دون التعرض للتفاصيل<sup>2</sup>. ويُعدّ الإيجاز (**Sommaire**) إحدى حالات عدم التوافق بين زمن الحكاية وزمن السرد حيث يتمّ تلخيص عدد من السنوات في بضع جُمَل أو صفحات، فتسبق حركة الزمن حركة السرد أي أن الحركة العمومية لزمن السرد تُصبح أسرع من الحركة الأفقية، وهو ما يتطلّب على مستوى الخطاب الأسلوب غير المباشر<sup>3</sup>. والتلخيص: وصيغته هي **ز.م > ز.ح**، حيث تقدم مدّة غير محددة من الحكاية مُلخّصة بشكل توحى معه بالسرعة<sup>4</sup>.

• الحذف **Ellipse**: وضعيته هي **ز.م = ز.ح**، ويتعلّق الأمر بمدّة من الحكاية يُسكت عنها تماماً من طرف المحكي، ويجب أن تكون هناك أمانة دالة على الحذف كحذف، أو أن يكون على الأقل قابلاً للاستنتاج من النص ويكون وظيفياً بدرجة أعلى أو أدنى. هناك حالات حذف مشهورة: البياض الذي يفصل بين الفصل ما قبل الأخير والفصل الأخير<sup>5</sup>.

• والقطع **L'ellipse**: هو أن يلجأ الروائي إلى تجاوز بعض المراحل من القصة دون الإشارة إليها، فيكتفي بالقول: (مرّت سنتان، أو انقضى زمن طويل). وغالباً ما يكون القطع في الروايات التقليدية وهو (ظاهر)<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص 93.

<sup>2</sup>- محمد عزّام: الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص 322.

<sup>3</sup>- عمر عاشور: البنية السردية عند الطيّب صالح، ص 23.

<sup>4</sup>- جيرار جينيت وآخرون: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبنيّر، ص 126.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه، ص 127.

<sup>6</sup>- محمد عزّام: تحليل الخطاب السردى على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص 322.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

وأشكال القطع عند جينيت، قطع محدد (E. Déterminée) وهو الذي ينصّ على مدته كقولنا "بعد مدّة كذا"، وآخر غير محدد (E. Indéterminée) وهو الذي يُشار إليه ولا ينصّ على مدته، كقولنا "بعد مدّة"<sup>1</sup>.

أما الحذف فهو حذف فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة وعدم التطرّق لما جرى فيها من وقائع وأحداث، فلا يذكر عنها السرد شيئاً، يحدث الحذف عندما يسكت السرد عن جزء من القصة أو يشير إليه فقط بعبارات زمنية تدلّ على موضع الحذف من قبيل "ومرّت أسابيع" أو "مضت سنتان..."<sup>2</sup>.

• تعطيل السرد: ينتج عن توظيف تقنيات زمنية تؤدي إلى إبطاء إيقاع السرد وتعطيل وتيرته، أهمها المشهد والوقف.

فالمشهد بتقنية المشهد المقطع الحواري، حيث يتوقف السرد ويسند السارد الكلام للشخصيات، فتتكلم بلسانها وتتجاوز فيما بينها مباشرة، دون تدخل السارد أو وساطته، في هذه الحالة يُسمّى السرد بالسرد المشهدي **Récit Scénique**<sup>3</sup>.

والمشهد (Scène) هو حالة التوافق التام، بين حركة الزمن وحركة السرد، حيث يتحرّك السرد أفقياً وعمودياً بنفس حركة الحكاية، فتساوى بذلك المسافة الزمنية (مستوى الحكاية) والمسافة الكتابية (مستوى النص)، وهذا لا يتأتى في الحقيقة، إلا في حالة الخطاب بالأسلوب المباشر (الديالوج، والمنولوج)، لذلك يُسمّى المشهد بالطريقة الدرامية في كتابة القصة<sup>4</sup>.

والمشهد (Scène) فهو المقطع الحواري الذي يأتي في كثير من الروايات من تضاعيف السرد، وينبه جيران جينيت إلى أنه ينبغي ألاّ نغفل أن الحوار الواقعي الذي يمكن أن يدور بين أشخاص معينين قد يكون بطيئاً أو سريعاً، بحسب طبيعة الظروف المحيطة

<sup>1</sup> - عمر عاشور: البنية السردية عند الطيّب صالح، ص 25/24.

<sup>2</sup> - محمد بوعزة: تحليل النص السردية وتقنيات ومفاهيم، ص 94.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 95.

<sup>4</sup> - عمر عاشور (ابن الزيبان): البنية السردية عند الطيّب صالح البنية الزمانية والمكانية في (موسم الهجرة إلى الشمال) د/ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 22.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الذاتية

كما أنه ينبغي مراعاة لحظات الصمت والتكرار، مما يجعل الاحتفاظ بالفرق بين زمن حوار السرد وزمن حوار القصة قائماً<sup>1</sup>.

أما الوقفة فتعدُّ، مظهراً من مظاهر عدم التوافق بين محوري الزمن الناتج عن تعليق سير الأحداث والمروء إلى الوصف أو التحليل النفسي، مما يحدث نوعاً من القطع الزمني، تطابقه ديمومة معدومة في حالة الوصف وديمومة قريبة من الصفر أثناء التحليل النفسي<sup>2</sup>. والاستراحة (Pause) تكون توقفات في مسار السرد يحدثها بسبب لجوءه إلى الوصف فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرورة الزمنية، وتعطيل حركتها وباعتبار الوصف استراحة وتوقفاً زمنياً فإنه يفقد هذه الصفة عندما يلتجئ الأبطال إلى التأمل في محيطهم فيتحوّل البطل إلى سارد<sup>3</sup>.

وعند الحديث عن الجانب التطبيقي فإننا نجد أن فدوى طوقان في سيرتها تتناول فترة طويلة نسبياً، ولذلك عليها اللجوء إلى أساليب تسريع السرد، حتى تتمكن من اختزال الأحداث، لذلك لجأت إلى أسلوب الحذف، لسرد لأبرز الأحداث التي أثرت في شخصيتها وتكوينها، وقد اقتصررت فدوى في سيرتها على سرد الجانب الكفاحي من حياتها، إذ تقول: «لم أفتح خزانة حياتي كلها، فليس من الضروري أن ننبش كل الخصوصيات، ما كشفت عنه هو الجانب الكفاحي»<sup>4</sup>. وقد ورد الحذف في سيرة فدوى في قولها: «لقد لعبوا دورهم في حياتي ثم غابوا في طوايا الزمن»<sup>5</sup>. هنا يشعر القارئ بأن فدوى اختزلت الأحداث مستعينة بتقنية الحذف، لأنها لا تستطيع سرد كل التفاصيل والأحداث التي عاشتها، فاكتفت بسرد ما كان له تأثير قوي في تكوين شخصيتها، كما نجد الحذف في قولها: «في عام 1950 كان عليّ أن أستخرج أول جواز سفر لي، قالت أمي: أنا أدلك على مصدر موثوق حيث يمكنك التيقن

<sup>1</sup> - محمد عزّام: تحليل الخطاب السردى على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص 322.

<sup>2</sup> - عمر عاشور (ابن الزيبان): البنية السردية عند الطيّب صالح البنية الزمنية والمكانية في (موسم الهجرة إلى الشمال) ص 26/25.

<sup>3</sup> - محمد عزّام: تحليل الخطاب السردى على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص 322.

<sup>4</sup> - فدوى طوقان: رحلة جبلية، رحلة صعبة، ص 10.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 7.

## الفصل الثاني: بلاغة الهرم وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

من عام ميلادك»<sup>1</sup>. هنا نجد فدوى تسرع الأحداث، فقد كانت تتحدث عن ميلادها ثم تقفز إلى سنة 1950، لتسرد حدث مهم في حياتها، وهو عندما أرادت استخراج أو جواز سفر لها، فقد كان كجميع الناس في نابلس، تؤرخ الوقائع بأحداث بارزة رافقت تلك الوقائع، كعام الثلجة الكبيرة، أو عام الجراد... ومن أمثلة الحذف أيضا في قولها: «حين وصلت سن البلوغ... وجاء الربيع... ورأني وأنا استحضر ذكرى تلك الحادثة، عشرات الأعوام»<sup>2</sup>، وفي قولها كذلك: «في تموز 1929 عاد أخي إبراهيم من بيروت.. مع وجه إبراهيم أشرق وجه الله على حياتي»<sup>3</sup>. وفي قولها: «بعد ستة وعشرين عاما، في عصر يوم من أيام حزيران 1955 وقفت في قاعة (وست) في الجامعة الأمريكية في بيروت، لأواجه لأول مرة في حياتي الحشد الذي دعته الدائرة العربية في الجامعة للاستماع إلى مختارات من شعري»<sup>4</sup>. ونجد الحذف في قولها كذلك: «ثلاثة أيام مرت دون أن يدعوني لأسمع له آخر قصيدة طلب إليّ حفظها وليختار لي قصيدة أخرى للحفظ»<sup>5</sup>. وفي قولها أيضا: «ولقد مضى وقت طويل قبل أن يؤمن بي أحمد ويأخذ مسيرتي الشعرية نأخذ الجد، فالواقع أنه ظل - كالأخرين - يعتقد أن يد إبراهيم كانت دائما وراء قصائدي»<sup>6</sup>، ونجد الحذف في قولها: «مرت أيام، أسابيع، شهور والأحداث في عنفوانها المتقد»<sup>7</sup>.

يقول توظيف المشهد عن الوقفة، وقد لجأت إليه فدوى في الحوار الذي دار بينهما وبين أمها، تقول: «أسأل أمي، لكن على الأقل في أي فصل؟ في أي عام؟ وتجيب ضاحكة كنت يومها أطهي "عكوب" هذه شهادة ميلادك الوحيدة التي أحملها...»<sup>8</sup>، وهنا يتطابق زمن القصة، وورد المشهد في قولها أيضا: «قالت أمي أنا أدلك على مصدر موثوق حيث يمكنك التيقن من عام ميلادك؛ فحيث استشهد ابن عمي كامل عسقلان كنت في الشهر

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص14.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص54.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص61.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص66.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، ص71.

<sup>6</sup>- المصدر نفسه، ص82.

<sup>7</sup>- المصدر نفسه، ص109.

<sup>8</sup>- المصدر نفسه، ص13.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الذاتية

السابع من الحمل...»<sup>1</sup>، وفي قولها كذلك: «قلت لها وأنا أضاحكها: دليني إذن على قبر ابن عمك كامل، فلم يبق أمامي إلا أن أستخرج شهادة ميلادي من شاهدة قبر ابن عمك»<sup>2</sup>. ومن أنواع الأزمنة في سيرة فدوى ما يصطلح عليه بالزمن الطبيعي «هو العلاقة الزمنية بين الأشياء، ولا يتأثر بإدراك المرء الحسي، وهو بكلمات نيوتن: كالزمن المطلق الحقيقي الرياضي، يجري بنفسه، وبطبيعته بصورة مطردة دون أية علاقة بأي شيء خارجي»<sup>3</sup>. وفي سيرة فدوى طوقان جاء ترتيب الأحداث تصاعدياً من الولادة فالطفولة والشباب والنضوج، كما أن الزمن الماضي هو المسيطر، لأنها تحكي أحداث وقعت لها فعلاً في حياتها احتفظت بها ذاكرتها، ولأنها تحكي أو تسرد وقائع حقيقية " والسيرة الذاتية تحتفي بالزمن الطبيعي لأنها تسرد وقائع حقيقية حدثت في زمن معين، لا مجال لدخول الخيال في صياغتها إلا بالقدر الذي يكفي لمساعدة المؤلف على بناء سيرته بناءً فنياً، كما أن صاحب السيرة يستطيع أن يسرد سيرته أحداثاً تاريخية على أن يصيغها صياغة أدبية، ويجعلها جزءاً من البناء الفني لسيرة، بحيث ينقلها من مجال العام إلى الخاص، ويتمثل إبداع صاحب السيرة بنقل الحدث التاريخي إلى حدث ذاتي " إذ تقول فدوى: « بين عالم يموت وعالم على أبواب الولادة، خرجت إلى هذه الدنيا، الإمبراطورية العثمانية تلفظ آخر أنفاسها، وجيوش الحلفاء تواصل فتح الطريق لاستعمار عربي جديد»<sup>4</sup>. ويظهر ذلك في قولها: « بعد حرب حزيران 1967، أرجع إلي الإحساس بنفسني ككائن اجتماعي، وفي ظل الاحتلال فقط حين رحبت ألتقي بالجماهير في قراءاتي الشعرية، عرفت القيمة والمعنى الحقيقي للشعر الذي ينعنق ويتخمر في دنان الشعب»<sup>5</sup>.

ويبدو أن ثنائية الولادة والموت، أو الدخول في حدود الزمن الطبيعي، والخروج منه، كانت تلح على تفكيرها، إذ أرخت لمولدها بولادة الحركة القومية العربية...وعندما أرادت أن تعرف

1- المصدر السابق، ص14.

2- المصدر نفسه، ص15.

3- تهاني عبد الفتاح شاكرو: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص131.

4- فدوى طوقان: رحلة جبلية، رحلة صعبة، ص16.

5- المصدر نفسه، ص109.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الذاتية

التاريخ الدقيق لميلادها، استخرجته من شهادة قبر ابن عم أمها "الشهيد كامل عسقلان"، ذلك أن والديها نسيا تاريخ ميلادها، وتذكرت الأم أن ابن عمها استشهد أثناء حملها بها فنصحتها أن تزور قبره لتتمكن من تحديد العام الذي ولدت فيه<sup>1</sup>.

ومن أشكال هذا الزمن أيضا الزمن النفسي وهو « زمن نسبي داخلي، يقدر بقيم متغيرة باستمرار بعكس الزمن الخارجي Exterior time الذي يقاس بمعايير ثابتة، فليس من الضروري أن تمثل ساعة واحدة قدراً مساوياً من النشاط الواعي كساعة أخرى، التمييز الحجمي بين وحدات الزمن ليس مطلقاً أيداً، ومقياسها النسبي هو مقياس أنفسنا وشعورنا وتكيفنا أو عدم تكيفنا»<sup>2</sup>.

والزمان في سيرة فدوى طوقان الذاتية هو زمان القهر والكبت والذوبان في اللاشيئية ويوجد فقرات في سيرتها تمثل حالتها النفسية عندما تكون حزينة أو سعيدة، تعبر فدوى عن حالتها النفسية الحزينة في قولها: « ظلت عقدة السجن كامنة في أعماقي، إن عقدنا الطفولية تتحكم بنا طوال حياتنا، يذهب الذين ولدوها فينا، وتكر الأيام والأعوام، وتبقى هي في داخلنا قابضة هناك تحكمننا وتوجه خطواتنا»<sup>3</sup>، وفي قولها: «عدت أوغل في هجرتي النفسية، في الرحيل داخل الذات، أن الشيء الأكثر أهمية هو ما يحدث فينا لا ما يحدث لنا، لقد أصبح الحزن منذ الآن هو العنصر الأساسي في حياتي، يربض في الأعماق وحشا حزينا متوحداً»<sup>4</sup>.

ومعايير الزمن النفسي في سيرة فدوى طوقان كانت تتغير بتغير حالتها النفسية وتكيفها مع المجتمع الذي تعيش فيه فقبل عام 1948 كانت ترى أن الزمن هو زمن "القهر والكبت والذوبان في اللاشيئية"... فحياتها في تلك المرحلة كانت مليئة بالفراغ<sup>5</sup>. وعندما سافرت إلى بريطانيا عبرت عن حالتها النفسية السعيدة بقولها: «أيامي في انكلترا لا تنسى أجمل

<sup>1</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص130.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص132.

<sup>3</sup>- فدوى طوقان: رحلة جبلية، رحلة صعبة، ص128.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص128.

<sup>5</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص132.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الذاتية

إحساس هو إحساس المرء بأنه في سلام مع نفسه، ها هو الزمن يمد إلي يد المصالحة، يد كريمة تفصلني عن ماضي حياتي التي سلفت والتي ما شعرت يوماً بالحنين إليها، إن الحنين إلى الماضي يصبح جزءاً من حياة الإنسان حين يكون ذلك الماضي محملاً بالذكريات السعيدة فقط»<sup>1</sup>، لذلك لجأت إلى تسريع السرد (منذ ولادتها حتى سنة 1948)، وعندما وأرادت أن تكتب سيرتها الذاتية، ونظرت إلى الوراء لتتذكر أيامها في بريطانيا وجدت أن الذاكرة تسعفها بأشياء كثيرة، لأن حياتها هناك كانت مليئة بالنشاط والحركة، فقل اعتمادها على تقنية الحذف، فالإنسان لا يستطيع أن يتغاضى عن تجاربه الفنية<sup>2</sup>.

وتلتزم المؤلفة في معظم صفحات سيرتها الذاتية بسرد الأحداث تبعاً لتسلسلها الزمني لكنها في بعض الأحيان تلجأ إلى إحداث فجوات سردية في النص،...وهذا الأسلوب في السرد الذي يرجع فيه المؤلف إلى الماضي، يسمى السرد الاستذكارى، ويقابله السرد الاستشرافي الذي يثير فيه المؤلف أحداثاً سابقة لسياقها الزمني، أو يمكن توقع حدوثها<sup>3</sup>.

ولقد ورد الاستذكار في كثير من المواضيع في سيرة فدوى وقد أكثرت من تكرار عبارات مثل: "أذكر"، "تظل ذكرياتي عن عمي واضحة"، "تظل ذكريات طفولتي قبل المدرسة مشوشة"، "لا تحمل ذاكرتي.. كما أنها لا تحتفظ بذكرى المرحلة الأولية التي تعلمت فيها قراءة الحروف وكتابتها"، "لا أذكر أن واحدة من معلماتي تركت في نفسي ذكرى جارحة" ومن أمثلة الاسترجاع أيضاً في سيرتها بعض الذكريات المؤلمة، تقول فدوى: «ومن الذكريات التي تركت في نفسي أثراً لسنوات غير قليلة ما يرتبط بذكرى ابنة عمي (شهيرة) كانت تكبرني بأربع سنوات وحين ماتت في الرابعة عشرة من العمر بمرض الروماتزم لم هزني موتها، بل تلقيته بشعور حيادي»<sup>4</sup>. أمّا الاستباق فيظهر من خلال تركها لمقاعد الدراسة وهي مازالت صغيرة وتركها مسجونة في البيت، ونجده كذلك في قولها: « في عام

<sup>1</sup> - فدوى طوقان: رحلة جبلية، رحلة صعبة، ص174.

<sup>2</sup> - تهاني عبد الفتاح شاكور: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص134.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص128.

<sup>4</sup> - فدوى طوقان: رحلة جبلية، رحلة صعبة، ص21.

## الفصل الثاني: بلاغة الهرم وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الذاتية

1950 كان عليّ أن استخرج أول جواز سفر لي»<sup>1</sup>، ومن قولها أيضا: « بعد ستة وعشرين عاما في عصر يوم من أيام حزيران 1955، وقفت في قاعة (وست) في الجامعة الأمريكية في بيروت، لأواجه لأول مرة في حياتي الحشد الذي دعته الدائرة العربية في الجامعة للاستماع إلى مختارات من شعري»<sup>2</sup>، وفي حديثها عن الشاعرة نازك الملائكة، إذ تقول: « في أواخر الأربعينات طلعت الشاعرة الرائدة نازك الملائكة بقصيدة التفعيلة»، وكان هذا الحديث سابقا لسياقه الزمني، لأن المؤلفة كانت لا تزال تسرد أحداثا وقعت في بداية الثلاثينات<sup>3</sup>.

وأخيرا "يمكن اعتبار سيرة فدوى طوقان، سيرة ذاتية تقليدية، من ذلك النوع الذي يراعي الترتيب الزمني، فالمشاهد الواردة فيها تتابع في القصّ، حسب ترتيبها الزمني في الواقع، لكن ما يفصل بين المشاهد يظل في أغلب الأحيان مسكوتا عنه" وهو ما أرادت المؤلفة حذفه من سيرتها<sup>4</sup>.

ويختلف الزمن في "الرحلة الأصعب" عنه في "رحلة جبلية"، فالأحداث في رحلة جبلية وقعت وانتهت، أمّا في "الرحلة الأصعب" فهي تتعلق بقضية لا تزال قائمة، والحلول التي طُرحت لحلّها قبل خمسين عاما لا تزال تُطرح حتى الآن والمناقشات التي دارت حولها، لا تزال تتكرر كل يوم.

ومن الواضح أن فدوى لم تعد تعتمد كليا على صيغة الفعل الماضي كما كانت سابقا، بل نجدها في الكثير من المشاهد قد اعتمدت على الفعل المضارع، و ذلك في قولها: « ها هي دماؤنا تقطر من حدّي سكين الطعنة المباغثة، والواقع الجديد يصيبنا بالشلل والذهول أرواحنا تضطرب تحت الممارسات القمعية...»<sup>5</sup>، وتمتد أحداث "الرحلة الأصعب" من عام 1967 إلى بداية التسعينات (زمن العيش تحت سلطة الاحتلال).

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص14.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص66.

<sup>3</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكرو: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص136.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، ص136.

<sup>5</sup>- فدوى طوقان: الرحلة الأصعب، ص15.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

وتعتمد فدوى على الذاكرة لاسترجاع الأحداث، فتعود بذاكرتها إلى الماضي وتسترجع سنوات الهزيمة ومأساة حزيران 1967، وآثارها على الإنسان العربي بصفة عامة والإنسان الفلسطيني بصفة خاصة، ويخضع الزمن في "الرحلة الأصعب" للترتيب والتداخل، ويبدأ من فترة 1967، مع الرجوع إلى فترة 1948 لاستحضارها كنقطة لبداية المأساة والافتتال الدموي بين الفلسطينيين والإسرائيليين، إذ تقول فدوى: « لن تبرح مخيلتي صورة ذلك اليوم الحزيراني المشؤوم، يوم الاثنين الخامس من حزيران العام 1967... استحضر الآن ذكرى ذلك العام، العام 1948، والحرب على أشدها بين العرب و اليهود»<sup>1</sup>.

وكذلك تلجأ فدوى إلى أسلوب السرد الاستذكاري عند حديثها عن وفاة جمال عبد الناصر 1970 التي ذكّرتها بوفاة شقيقها نمر، تقول: « أكبر ألم عندي هو ألم الشعور بالموت حين يفجعني بحبيب، كانت فجيعتي عام 1963 بمصرع شقيقي نمر لا حدود لها... ترى لو خيرت بين موت نمر وموت جمال عبد الناصر أيهما أختار؟ وعجزت عجزاً تاماً عن الاختيار واستحال علي الوصول إلى نتيجة، لم يكن ممكناً أن أفدي أحدهما بالآخر... بلى إلى هذا الحد بلغ ضني بجمال»<sup>2</sup>.

كما تلجأ إلى أسلوب السرد الاستشراقي، الذي يرتبط غالباً بالحديث عن الانتفاضة أو التنبؤ بالثورة، إذ تقول: « كانت تجري على صفحة الطفولة البيضاء عملية تسجيل خفية تنطبع معها في الأعماق، وتتزع وتختزن كل صور أيام الاحتلال الأولى، ليتفجر منها فيما بعد السلوك الأسطوري لأطفال الحجارة تجاه جنود الاحتلال، بكل ما في ذلك السلوك من قوة التحدي، والرفض»<sup>3</sup>.

ويتميز الإيقاع السردى بالسرعة في إيراد الأحداث والقفز على السنوات داخل عقد الستين والسبعين نظراً لعدم أهميتها لدى الكاتبة أو ربما لفراغها ثقافياً وأدبياً وخمودها نضالياً بسبب الرعب الصهيوني، كما أن فدوى في "الرحلة الأصعب" لا تتحدث عن حياتها الخاصة، ولعل

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص7.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص124/123.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص16/15.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الذاتية

أكبر فجوة سردية صنعتها المؤلفة، كانت عندما انتقلت من الحديث عن حصولها على جائزة الزيتونة عام 1978 إلى الحديث عن اشتعال الانتفاضة عام 1987 فقد حذفت في هذه الفجوة أحداثاً كثيرة وقعت خلال تسعة أعوام<sup>1</sup>. وكذلك نجد الحذف من حديثها عن الانتفاضة ثم الانتقال إلى الحديث عن مؤتمر مدريد، إذ تقول: «مع مؤتمر مدريد امتد خيط ضوئي أماناً، فرحنا به، وعقدنا عليه آمالنا وأحلامنا. وتمر سنة كاملة، تجري خلالها جولات عديدة منفصلة دون الوصول إلى أي اتفاق، لقد ظلت مسارات التفاوض العربية والإسرائيلية تتعثر مع عدم تحقيق شيء»<sup>2</sup>.

هذا عن تسريع حركة السرد، كما أننا نجد فدوى تعمل على تعطيل حركة السرد بواسطة تقنية المشهد الحوارى والوقفة الوصفية. تقول تهاني عبد الفتاح شاكراً في كتابها السيرة الذاتية في الأدب العربي: «ومن الملاحظ أن المؤلفة أصبحت تعتمد على السرد المشهدي في "الرحلة الأصعب" أكثر من اعتمادها عليه في "رحلة جبلية" فهي قد أصبحت تلتقي بالآخرين، وتداول معهم. ومن الأمثلة على ذلك، الحوار الذي دار بينها وبين "موشيه دايان" حين زارته في منزله»<sup>3</sup>، تقول فدوى: «لم يلبث دايان أن بدأ الحديث معي قائلاً - وقبل أن يجلس-: أنت تكرهيننا، لقد قرأت بعض قصائدك مترجمة إلى العبرية... قلت: لست أكرهكم كيهود، لكني أكرهكم كمحتلين...»<sup>4</sup>.

وكذلك نجد الحوار الذي دار بين وزير الحربية موشيه دايان ورئيس البلدية وبعض رجالات المدينة، تقول فدوى: «قال للمجتمعين: «ما الذي تريدونه يا أهالي نابلس؟ هل تريدون مقاتلة إسرائيل...»، هنا رد رئيس البلدية قائلاً: «ماذا تتوقعون غير ذلك؟ بلدنا تحت الاحتلال ومن حق الناس مقاومة الاحتلال» فقال دايان: «أتريدونها فيتنام؟» قال حمدي: «قدها و قدود!»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكراً: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص174.

<sup>2</sup>- فدوى طوقان: الرحلة الأصعب، ص171.

<sup>3</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكراً: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص175.

<sup>4</sup>- فدوى طوقان: الرحلة الأصعب، ص41.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، ص39.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

وتنقل فدوى طوقان ووفات وصفية لمدينة "يافا"، فنقول: « عرجنا بعد ذلك على الجزء القديم من مدينة يافا لتطالعنا أنقاض البيوت التي هدمتها الحرب سنة 1948، ولنشاهد بعض أجزاء من أثار تلك البيوت تبرز من خلال ركام الأطلال، شظايا وبقايا من أرجل لكرسي مكسر محطم، أو باب مخلع، أو شباك مكسر، ناهيك عن الجو المأساوي المحيط داخلني حزن صامت، نفس الحزن الذي داخلني يوم قمت بجولة لأول مرة بعد الاحتلال في المنطقة الحرام في القدس»<sup>1</sup>.

### 3-2- مفهوم المكان:

#### أ- المكان لغة:

والمكان المَوْضِعُ، والجمع أَمْكِنَةٌ كَقَدَالٍ وَأَفْذَلَةٍ، وَأَمَاكِنُ جمع الجَمْعِ.  
قال ثَعْلَبٌ: يبطل أن يكون مكان فعالاً لأنّ العرب تقول: كُنْ مَكَانَكَ، وَفَمْ مَكَانَكَ، وَأَقْعُدْ مَقْعَدَكَ؛ فقد دل هذا على أنه مَصْدَرٌ من كان أو مَوْضِعٌ منه<sup>2</sup>.  
والمكان: عند الحكماء: هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي، وعند المتكلمين: هو الفراغ الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده<sup>3</sup>.

#### ب- اصطلاحاً:

على الرغم من أنّ المكان قد احتل حيزاً كبيراً في شعرنا العربي، في المقدمات الطللية وفي وصف الطبيعة الجامدة والمتحركة، فإنّه لم يحظ بدراسات هامة في أدبنا النثري، حتى جاء الاهتمام به مع التقنيات الحداثيّة لرواية، فبدأ يحتل مكاناً هاماً في السرد الروائي، ذلك أنّه لا أحداث ولا شخصيات يمكن أن تلعب دورها في الفراغ دون المكان، ومن هنا تأتي أهمية المكان، كعنصر حكاوي قائم بذاته<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص19.

<sup>2</sup>- ابن منظور: لسان العرب، ص 4250 (مادة مكن).

<sup>3</sup>- محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، ص191 (باب الميم).

<sup>4</sup>- محمد عزّام: شعرية الخطاب السردية، ص67.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصوص طوقان الصائبة

وبذلك أصبح المكان يمثل «هوية العمل الأدبي الذي إذا افتقد المكانية يفقد خصوصيته وتالياً أصالته»<sup>1</sup>.

نجد أن النقاد المحدثين يستخدمون ما يقابل كلمة الموقع و(المكان/ال فراغ) للتعبير عن مستويين مختلفين للبعد المكاني: أحدهما محدد يتركز فيه مكان وقوع الحدث والآخر أكثر اتساعاً ويعبر عن الفراغ المتسع<sup>2</sup>.

وقد جرى لفظ المكان على ألسنة بعض نقادنا تماشياً مع ما درجت عليه الكتابات العربية كونه الأقرب إلى الاستعمال في اللسان العربي، هذا ما تناولته سيزا قاسم في كتابها (بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، وهي تقول في هذا الصدد: «أنا التزمنا في هذا البحث استخدام كلمة "المكان" اتساقاً مع لغة النقد العربي»<sup>3</sup>.

ويرى حسن بحراوي من خلال كتابه (بنية الشكل الروائي) أن المكان هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكى و تنهض به<sup>4</sup>.

« ولا يكاد النقاد الغربيون يصطنعون مصطلح "المكان" إلا عرضاً، ولدلالات خاصة، وعبر حيز ضيق من نشاطهم: أما المصطلح الشائع والذي يُعنونون به كتبهم و مقالاتهم فإنما هو الحيز بالمقابل الأجنبي الذي ذكرناه وترجمة (Space, Espace) بالفضاء في حال، والمكان في حال أخرى مثل استعمال المصطلح الشائع في النقد العربي المعاصر "جمالية المكان"؛ ترجمة غير سليمة، ولا دقيقة التمثل للمعنى الأصلي الأجنبي في رأينا على الأقل»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2003، ص13.

<sup>2</sup> - سيزا قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، دط، مطبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1989، ص76.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص76.

<sup>4</sup> - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2009، ص29.

<sup>5</sup> - عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص122/121.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

وإذا كان مصطلح المكان قد تأخر ظهوره في النقد العربي، فإن ظهوره في النقد العربي قد كان أكثر تأخراً، وقد قال "حسن نجمي" في هذا السياق: «أن النقد العربي قد قصر في طرح سؤال الفضاء الأدبي لاعتبارات كثيرة... و منها بالأساس ذيلية للنقد الغربي في توجهاته المتعددة»<sup>1</sup>.

ويرى عبد الملك مرتاض بأنه: «على الرغم من أهمية الحيز، وجماليته في أي عمل سردي عموماً، وفي أي عمال روائي خصوصاً، فإننا لم نر أحداً من كتاب العربية انشغلوا بنقد الأدب الروائي، أو التنظير للكتابة الروائية خصص فصلاً مستقلاً لهذا الحيز»<sup>2</sup>.

وقد أثر عبد الملك مرتاض استخدام مصطلح الحيز في الكثير من نتاجاته النقدية « إن المكان نريد أن نفقه في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده»<sup>3</sup>.

أمّا "بحراوي" فيعمد في كتابه "بنية الشكل الروائي" إلى استثمار مفهوم "التقاطبات" الذي أتى به الباحث السوفيياتي يوري لوتمان Y. Lotman فجاءت دراسته عبارة عن مجموعة من الأماكن التي تقوم على ثنائيات ضدية، فهناك أماكن الإقامة الاختيارية، وأخرى إجبارية وهناك أماكن الانتقال العمومية، وأخرى خصوصية<sup>4</sup>.

والتقاطبات المكانية هي التي تصنف الأمكنة وتبحث في دلالاتها في شكل ثنائيات ضدية، بحيث تعبر عن العلاقات والتواترات بين قوى وقيم متعارضة، تبعاً لهذا التصور يُمكن تصنيف الأمكنة في السرد إلى ثنائيات متعارضة انطلاق من مفهوم المسافة (قريب/بعيد) أو الحجم (كبير/صغير) أو الاتساع (محدود/لا محدود) أو مفهوم الشكل (دائرة/مستقيم) أو الحركة (جامد/متحرك، اتساع/تقلص، جذب/إقصاء، اتجاه عمودي/اتجاه أفقي) أو مفهوم الاتصال (منفتح/منغلق، داخل/خارج) أو مفهوم الاستمرار (استمرار/انقطاع) أو مفهوم العدد (تعدد/وحدة، مسكون/مهجور) أو مفهوم الإضاءة (مضاء/مظلم، أبيض/أسود)<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - حسن نجمي: شعرية الفضاء السردي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص58.

<sup>2</sup> - عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص125.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص121.

<sup>4</sup> - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص 44/43.

<sup>5</sup> - محمد بوعزة: تحليل النص السردي (تقنيات و مفاهيم)، ص101.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

المسافة	الحجم	الاتساع	الشكل	الحركة	الاتصال	العدد	الإضاءة
مكان	مكان	مكان	مكان	مكان جامد	مكان	مكان	مكان
قريب /	صغير /	محدود /	دائري /	مكان /	متفتح /	مأهول /	مضاء /
مكان بعيد	مكان كبير	مكان لا	مكان	متحرك	مكان	مكان	مكان
	محدود	مستقيم	مستقيم	منغلق	مهجور	مظلم	

ج- أنواع الفضاء المكاني: يمكن تقسيم (الفضاء المكاني) إلى عدة أنواع، هي:

**الفضاء الروائي:** هو فضاء لفظي يختلف عن الأماكن المدركة بالسمع أو البصر، وتشكله من الكلمات يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية التي تستطيع اللغة التعبير عنها... وهكذا فإن (الفضاء الروائي) يتكون من التقاء فضاء الألفاظ بفضاء الرموز الطباعية، وهو المظهر التخيلي أو الحكائي، ويرتبط بزمان القصة، وبالحدث الروائي وبالشخصيات التخيلية<sup>1</sup>.

والى جانب هذا يتخذ مفهوم الفضاء عند حميد لحميداني أربعة أشكال تتمثل في<sup>2</sup>:

**الفضاء الجغرافي:** وهو مقابل لمفهوم المكان، ويتولد عن طريق الحكي ذاته، إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال، أو يُفترض أنهم يتحركون فيه.

**وفضاء النص:** وهو فضاء مكاني أيضاً، غير أنه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائية أو الحكائية - باعتبارها أحرفاً طباعية- على مساحة الورق ضمن الأبعاد الثلاثة للكتاب.

**والفضاء الدلالي:** ويشير إلى الصورة التي تخلفها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام.

<sup>1</sup> - محمد عزام: شعرية الخطاب السردية، ص 73/74.

<sup>2</sup> - حميد لحميداني: بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، ص 62.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الذاتية

والفضاء كمنظور: ويشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تُشبه واجهة الخشبة في المسرح.

ويُعد المكان أحد عناصر السرد المهمة في النثر الأدبي مثله مثل الحدث واللغة والشخصيات والزمان<sup>1</sup>. فلا تقل أهميته البنائية على المكونات الأخرى، بل إنه يصبح أحياناً محدداً للوظيفة الحكائية للسرد بتحكمه في الأحداث والحوافز<sup>2</sup>. فالمكان ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً، و يتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان، هو الهدف من وجود العمل كـ<sup>3</sup>.

### د - آلية توظيف المكان في سيرة فدوى:

إن نص السيرة الذاتية يحاول إعادة تشكيل المكان الواقعي بالكلمات، بعد أن يضي عليه المؤلف شيئاً من إحساسه به، ومثل ذلك المنزل في سيرة فدوى طوقان، فهو مكان واقعي لكن صورته لا تصل إلينا كما كانت على أرض الواقع، بل كما كان صاحب السيرة يراها. وتنقسم الأماكن الواقعية في سيرة فدوى إلى قسمين:

**أماكن الإقامة، مثل: بيت الأسرة:** تصف فدوى إذ تقول: «البيت أثري كبير من بيوت النظام الإقطاعي، ترى فيها العقود والأقواس والباحات الواسعة والحدائق ونوافير الماء والطوابق العليا والسلام الملتوية...»<sup>4</sup>. وكذا بيت الأخ: انتقلت فدوى لتعيش في بيت شقيقها أحمد، الذي أتى بها من نابلس للبقاء مع زوجته أثناء انشغاله في عمله (في الأردن) ، لكنها كانت تحن إلى مكانها وأشياءها في بيت الأسرة الكبير، تقول: «عدت إلى ركني الخاص في غرفتنا الكبيرة بنابلس "غرفة البنات"... عدت إلى خزانتي وطاولتي وكرسيّ وإبريق قهوتي وفنجاني...»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> جمال غلاب: مقاربات في جماليات النص الجزائري، ط1، اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة، 2002، ص14.

<sup>2</sup> عمر عاشور: البنية السردية عند الطبيب صالح، ص41.

<sup>3</sup> حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص33.

<sup>4</sup> فدوى طوقان: رحلة جبلية رحلة صعبة، ص40.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص104.

## الفصل الثاني: بلاغة الهرم وجماليته الوظيفية في سيرة فصول طوقان الصائبة

كما أنها انتقلت إلى بيت أخيها إبراهيم في القدس، تقول: « كانت انعطافة جديدة في حياتي لم يسبق لها مثيل منذ بدأت رحلة الشعر، كانت نقطة انطلاق بدأت فيها شخصية تمتد إلى الخارج لأول مرة، فإلى جانب التحقي بمدرسة مسائية لتعلم اللغة الانكليزية في جمعية الشبان المسيحية بالقدس، رحلت أشارك في تقديم بعض الأحاديث الإذاعية والتمثيلات والإنشاد مع فرقة الأناشيد في الإذاعة...»<sup>1</sup>، فقد كانت فرحة بعالمها الجديد سعيدة ببعدها عن نظام الأسرة الصارم، تقول: « وهكذا فقد توفر لي أثناء إقامتي بالقدس جو خلا فيه التعامل معي من أساليب التسلط ومحو الذات، لقد حفظ لي ذلك الجو المعافى وجودا شخصيا مستقلا، لم يكن ليتاح لي لو لم تكن "أم جعفر" تتميز بتلك الصفات الجميلة والطباع الرضية»<sup>2</sup>.

ومنها أيضا أماكن الانتقال مثل: نابلس، لم تعط فدوى طوقان للمكان - نابلس - أهمية في سيرتها الذاتية وذلك لقلّة احتكاكها بها، إلا أننا نجدها قد ذكرت بعض التغيرات التي حدثت فيها، فهي تؤرخ للمستوى العلمي، إذ تقول: « لم يكن في نابلس أكثر من مدرستين للبنات، (المدرسة الفاطمية) الغربية، و(المدرسة العائشية) الشرقية، وكان أعلى صف هو الخامس الابتدائي»<sup>3</sup>، فالمدرسة تمثل الفضاء الذي تنتفس فيه هواء الحرية، ويقابلها البيت الذي تحسه سجنا، تقول: « في المدرسة تمكنت من العثور على بعض أجزاء من نفسي الضائعة»<sup>4</sup>، كما تحدثت في سيرتها عن (الحمام) خروج النساء إلى الحمام، إذ تقول: « كان من الفرص السعيدة المتاحة لها الذهاب إلى الحمام العام، فالحمام في تلك الأيام ملتقى اجتماعي بهيج لنساء البلدة، كما كان يوم الحمام من أيام فرحي أنا الأخرى»<sup>5</sup>، وقد وصفت فدوى الحمام العام الذي كانت تذهب إليه: باب فضي، وحائط يفضي إلى حائط من الأماكن التي كانت تجذب فدوى في نابلس "جامع الحنبلي" الذي كانت تهرع إليه مع صديقتها علياء

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص121.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص122/123.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص51.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص52.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، ص25.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الذاتية

وبعض النسوة، في السابع عشر من رمضان "للتبرك بشعرات النبي المحفوظة في خزانة علي يمين المحراب"<sup>1</sup>.

ومنها القدس، خلال إقامة فدوى في بيت شقيقها إبراهيم تعرفت على القدس، فقد منحها إبراهيم الحرية، والمرأة في القدس تنعم بحرية لا تنعم بها في نابلس، لذلك أحبت فدوى البقاء فيها، والقدس مدينة عامرة بمكتباتها العامة، ودور السينما، والإذاعة.

وكذا عمان، مكثت فدوى في عمان، خلال إقامتها في بيت شقيقها أحمد كما سبق وأن ذكرنا، ولم تختلف عمان عن نابلس من حيث القيود الاجتماعية الصارمة.

وانجلترا، كذلك يظهر المكان جليا من خلال ذكرها لرحلة سفرها إلى إنجلترا وقد كان لذلك قيمة كبيرة في الاستمتاع و التحرر، تقول فدوى: «أيامي في انجلترا لا تُنسى، أجمل إحساس هو إحساس المرء بأنه في سلام مع نفسه، ها هو الزمن يمد إلي يد المصالحة، يد كريمة تفصلني عن ماضي حياتي التي سلفت و التي ما شعرت يوما بالحنين إليها»<sup>2</sup>، كما أنها تذكر سفرتها الأخرى، تقول: «كانت أول مرة أسافر فيها بمفردي خارج البلاد العربية، أما رحلتي السابقة الوحيدة إلى أوروبا والتي شملت آنذاك هولندا فالسويد فروسيا فالصين الشعبية فقد كنت بصحبة وفد أردني وبدعوة رسمية لحضور مؤتمر السلام العالمي الذي انعقد في مدينة ستوكهولم عام 1956»<sup>3</sup>.

كما أن عنوان السيرة الذاتية لفدوى طوقان يختزل مضمون الحياة وما فيها من صعوبة رحلة جبلية، رحلة صعبة، والرحلة الأصعب، فالجبل مكان غير واقعي في سيرة فدوى طوقان ومع أنه مكان مفتوح ، فهو سيرة فدوى يرمز للمكان المغلق.

والجبل مكان مرتفع يستهلك صعوده طاقة كبيرة من الإنسان، لذلك فإنه عندما ينجح في اجتيازه والابتعاد عنه، يكون قد استنفذ جزءا كبيرا من طاقته، وفدوى ترى أنها اجتازت القيود

<sup>1</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص145.

<sup>2</sup>- فدوى طوقان: رحلة جبلية، رحلة صعبة، ص174.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص170.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الصائبة

والعقبات التي رمزت لها بالجبل، لكن بعد أن استهلكت هذه العقبات من طاقتها، وروحها وسنين عمرها الشيء الكثير.

ولقد كانت فدوى في الجزء الأول من سيرتها "رحلة جبلية، رحلة صعبة" تهتم بوصف الأماكن وصفاً روائياً، أما في "الرحلة الأصعب" فلم تعد تهتم بذلك... وأكثر الأماكن أهمية في "الرحلة الأصعب"، هو الوطن "فلسطين" إذ إنّ الموضوع الرئيسي في هذا الجزء من السيرة هو قضية فلسطين، وهي قضية الصراع من أجل المكان فاليهود يزعمون أن فلسطين أرضهم، لذلك أصبحوا يهددون وجود أبنائها الأصليين فيها<sup>1</sup>.

فصار الاهتمام بالمكان في "الرحلة الأصعب" مرتبطاً بالالتزام بقضية فلسطين المحتلة تقول فدوى: « قبل زيارتي الأولى لحيفا بفترة وجيزة كان بعض الأصدقاء قد اصطحبوني معهم في رحلة استطلاعية إلى مدينة يافا. هناك، في أحد الشوارع الرئيسية المزدهمة استوقفتنا الشرطة الإسرائيلية...، بل كنا نحس بقوة انتمائنا ونبض جذورنا الفلسطينية في الأرض العربية المغتصبة عنوة واقتداراً، والتي هي أسيرة الآن في أيدي غرباء لا جور لهم فيها ولا أصول»<sup>2</sup>. وتقول كذلك: « والمحتلون يؤكدون لأنفسهم، والعالم أن الأرض لهم وهي أرضهم الموعودة، ونحن نقاوم»<sup>3</sup>.

وهي تصف الأماكن في فلسطين بطريقة موجزة مثلما وصفت مدينة يافا بعد الدمار الذي حلّ بها. فالأرض إذاً هي الموضوع الرئيسي في الجزء الثاني من سيرة فدوى طوقان "الرحلة الأصعب" إذ تقول: « و لناخذ مثلاً كلمة (الأرض)، هذه الكلمة حين يتعامل معها الشاعر الفلسطيني، تجيء محملة بالدلالات و الإيحاءات والمشاعر والصور والمعاني الخاصة بنا نحن الفلسطينيين»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكّر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص175.

<sup>2</sup>- فدوى طوقان: الرحلة الأصعب، ص18.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص172.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص158.

### 4- آلية توظيف اللغة الساردة:

المفهوم المعجمي والاصطلاحي:

أ- **لغة:** إن اللغة من منظور معجمي معناها: هي ما يعبر به كل قوم عن أغراضهم. واللغة: اللسن، وَحَدُّهَا أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم<sup>1</sup>، وهي فُعْلَةٌ من لَعَوْتُ، أي تكلمت، أصلها لُغَوَةٌ كَكُرَّةٍ وَقُلَّةٍ وَثَبَّةٍ، كُلُّهَا لاماتها واواتٌ؛ وقيل: أصلها لُغَى أو لُغُوٌ، والهَاءُ عِوَضٌ، وجمعها لُغَى، وفي الْمُحْكَمِ: الْجَمْعُ لُغَاتٌ وَ لُغُونٌ<sup>2</sup>.

### ب- اصطلاحا:

إن اللغة في الخطاب القصصي الجديد، قد تجاوزت بعدها القاموسي وأضحت تحاور أبعادها السيميائية لتشكل فضاءها الجمالي التأويلي<sup>3</sup>. و لقد فتحت السيميائية، حول مفهوم اللغة، آفاقا لا حدود لها؛ فنشأ عن مفهوم اللغة نفسه مفهومان اثنان، مفهوم السمة الطبيعية وهي اللغة التبليغية التي يكون بثها دون قصد... والسمة الطبيعية الثانية لمسية، والسمة الطبيعية الأخرى سمعية باعتبار الاستقبال، وصوتية باعتبار الإرسال وبصرية باعتبار الوَمَضان.

ومفهوم السمة الاصطناعية التي تتصرف إلى كثير من المظاهر التعبيرية أو التبليغية التي منها اللغة اللفظية (أو الألفاظ)، والرسوم، والأشكال، والإشارات الصوتية... ويكون لها في مألوف العادة باث قصدي... واللغة هي أساس الجمال في العمل من حيث هو<sup>4</sup>.

ويقول عبد الملك مرتاض: « وحين نتحدث عن اللغة(ونحن هنا لا نريد إلى اللغة بمعنى (لسان **langue**)؛ ولكننا نريد اللغة بمعنى **langage, language**): أي أننا نريد إلى اللغة الوظيفية، أي اللغة التي يكتب بها كاتب جنسا أدبيا ما، وقل اللغة الخاصة التي يصطنعها هو، والتي يحاول، في كثير من الأطوار- شأن الكتاب الكبار في العالم- أن يخرجها

<sup>1</sup> علي بن محمد السيد الجرجاني: معجم التعريفات، ص160/161 (باب اللام).

<sup>2</sup> ابن منظور: لسان العرب، ص 50/40 (مادة لغا)

<sup>3</sup> عبد القادر بن سالم: مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد، ص59.

<sup>4</sup> عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص100/99.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فصوص طوقان الصائبة

من المستوى المعجمي الميكانيكي الدلالة، إلى المستوى الانزياحي الذي يتيح له أن يسخر لغته لمعانٍ جديدة كثيرة تحيي مواتها، وتوسع دلالتها، وذلك بالاضطراب بها في مضطربات بعيدة لا عهد للغة المعجمية بها»<sup>1</sup>.

### ج- اللغة الحوارية:

الحوار هو اللغة المعترضة التي تقع وسطا بين المناجاة، واللغة السردية، ويجري الحوار بين شخصية وشخصية، أو بين شخصيات وشخصيات أخرى داخل العمل الروائي... إن لغة الحوار، ليس ينبغي لها أن تبتعد كثيرا عن لغة السرد، حتى لا يقع النشاز البشع في نسج مستويات اللغة السردية<sup>2</sup>. ولغة الحوار يجب أن تتميز بالدقة، وأن تعبر عن مستوى الشخصية تعبيراً صادقا<sup>3</sup>.

### د- لغة المناجاة:

أو ما يشيع في الكتابات النقدية العربية المعاصرة تحت مصطلح " المنولوج الداخلي" وهو مصطلح هجين دخيل جيء به من قول الفرنسيين على يد أديبهم الشهير (إواردي جردان). والمناجاة تدور داخل الذات حيث إنها وربما قيل "النُجْوَاء": تعني في اللغة العربية «حديث النفس ونجواها»<sup>4</sup>.

ويعرف عبد الملك مرتاض المناجاة على أنها: « خطاب مضمن داخل خطاب آخر يتسم حتماً بالسردية: الأول جواني، والثاني براني. ولكنهما يندمجان معاً اندماجاً تاماً (...). لإضافة بُعد حدثي، أو سردي، أو نفسي، إلى الخطاب الروائي»<sup>5</sup>.

ويمكن للسارد أن يتناول كلام الشخصيات كموضوع لسرده، وقد يختار أن يعيد إنتاجه حرفياً، كما تمّ التلفظ به "واقعيًا"؛ حينئذٍ ينمحي السارد أمام الشخصية، ويصبح السرد شفافاً<sup>1</sup>. شفافاً<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص106/107.

<sup>2</sup>- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص116.

<sup>3</sup>- صالح إبراهيم: الفضاء و لغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، ص135.

<sup>4</sup>- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص118.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه، ص118.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الذاتية

### هـ- آلية توظيف اللغة الساردة في رحلة جبيلة رحلة صعبة:

وفدوى من خلال المستوى اللغوي للسيرة" تتبدى...ناثرة شاعرية الأسلوب، لا يلهيها القص وأفعاله عن جمال الصياغة، وانتقاء المفردات، والتداعي الشعري" ورسم الصور البيانية، كقولها: «إن البذرة لا ترى النور قبل أن تشق في الأرض طريقا صعبا، وقصتي هنا هي قصة كفاح البذرة مع الأرض الصخرية الصلبة، إنها قصة الكفاح مع العطش والصخر»<sup>2</sup>، وتنساب معها العبارات في لغة عذبة شاعرية من خلال مقطع آخر تقول: «أي دور تلعبه الصدفة في حياتنا، حادث تافه، أو خبر عادي أو محض مصادفة تعترض طريق المرء، فيتغير معها مجرى الحياة، وتتعطف طريق السير انعطافة حادة قاطعة وتصبح الدنيا غير الدنيا والعالم غير العالم، لو لم يعترض ذلك الغلام طريقي...»، ولقد استخدمت فدوى في عملية القص وسرد الأحداث ضمير المتكلم ويظهر ذلك واضحا جليا في حديثها عن الولادة حتى وقوع نكسة حزيران وسقوط نابلس والتزمت في سيرتها بضمير المتكلم المفرد مع تنويع باستعمال ضمير الجمع حسب ما يقتضيه السياق وفضلا عن استخدامها لأسلوب القص الاسترجاعي، فإنها استعانت بأسلوبين آخرين هما: الرسائل/المذكرات، فالغاية من الرسائل هي استعادة النشوة في ذلك الوقت فهي تكتب سيرتها التي ختمتها بهامش صغير تعتذر فيه للقارئ عن إيراد الرسائل، فتقول: «لعل القارئ يغتفر إيراد رسائل ابن عمي وهو في انكلترا حول الموضوع، فحين عدت إلى رسائله أثناء كتابة المذكرات، وجددتني أستعيد نشوة تطلعي آنذاك إلى زيارة تلك البلاد، وأطمع أن يشاركني القارئ هذه النشوة»<sup>3</sup>.

ومن البين أن سيرة فدوى طوقان تخاطب النساء من القراء، مثل كثير من السير الذاتية النسوية، فضمير الجماعة في المقدمة يتضمن النساء، وليس بالضرورة أن يكون ذلك استثناء للرجال، فهي عندما تقول: «لا ضير علينا لو خسرنا المعركة، فالمهم ألا ننهزم

<sup>1</sup>- جيرار جينيت وآخرون: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبني، ص106.

<sup>2</sup>- المرجع السابق، ص101.

<sup>3</sup>- فدوى طوقان: رحلة جبيلية، رحلة صعبة، ص239.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الذاتية

أو نلقي السلاح» نشعر أنها تتحدث عن المعركة التي خاضتها المرأة أمام المجتمع حتى تتال حريتها، وتثبت وجودها، وفي الوقت نفسه، نجد كلامها ينطبق على أي إنسان يضع أمام عينيه هدفاً معيناً، ثم يناضل من أجل تحقيقه<sup>1</sup>.

وقد جعلت فدوى من شقيقها إبراهيم، والشاعرة العراقية رباب الكاظمي مثلاً أعلى لها تحاول اقتفاء آثارهما، لذلك أقبلت على حفظ الشعر، ودراسة الكتب اللغوية والأدبية، فقد قرأت كتب الجاحظ، والمبرد، وأبي علي القالي، وابن عبد ربه، وأبي الفرج الأصفهاني، وطه حسين، وأحمد أمين، والعقاد، ومصطفى أمين، وعلي الجارم، ومصطفى صادق الرافعي ومحمد حسن الزيات وغيرهم من الأدباء<sup>2</sup>، تقول فدوى: «في استغراقي في عالمي الجديد عرفت مذاق السعادة، كنت مستغرقة في عملية خلق نفسي، وبنائها من جديد، والبحث الطموح عن إمكانياتي وقدراتي مما شكل ثروة وجودي»<sup>3</sup>، ويتضح مما سبق أنه لا يمكن إغفال المستوى اللغوي في سيرة الشاعرة فدوى طوقان، فهي تلجأ أحياناً لتكرار بعض الألفاظ، أو العبارات مما يخلق نوعاً من الإيقاع الموجود في الشعر، ويظهر ذلك من خلال العنوان «رحلة جبلية، رحلة صعبة» ومن خلال بعض العبارات مثل: «وخرجت بنت الحياة إلى أمها الحياة، وكانت صادقة كل الصدق»... ولأن المؤلف شاعرة فإنها لا تكتفي باللغة الشعرية فقط بل تضمن سيرتها شيئاً من أبياتها الشعرية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- تهاني عبد الفتاح شاکر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص151.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص108.

<sup>3</sup>- فدوى طوقان: رحلة جبلية، رحلة صعبة، ص76.

<sup>4</sup>- تهاني عبد الفتاح شاکر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص152.

## الفصل الثاني: بلاغة الهرم وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الصائبة

### و- آلية توظيف اللغة الساردة في الرحلة الأصعب:

في الجزء الأول من سيرة فدوى طوقان غلب استخدامها للفعل الماضي، أما في الجزء الثاني من سيرتها "الرحلة الأصعب" فقد لجأت إلى المراوحة بين استخدام الفعل الماضي والمضارع، لأن صيغة الفعل المضارع تدل على الحضور والفورية، تقول فدوى: « النساء تحتضن الأطفال المرتعشين، المذعورين من منظر الخوذات الحديدية»<sup>1</sup>.

وفي قولها كذلك: « وأعود إلى بضعة أسابيع تنقضي على الصدمة التي أصابنا بها عدوان حزيران؛ شهران أو أكثر بقليل نسترد بعدهما وعينا و نفيق من الذهول، وتبدأ مرحلة الرفض، وتبدأ المقاومة والتعامل مع التحديات الصعبة..»<sup>2</sup>، ومع هذا فصيغة الفعل الماضي هي الأكثر استخداماً (لأنه من خصائص السيرة الذاتية الاسترجاع أي الرجوع من الحاضر إلى الماضي).

والضمير الذي تعتمد عليه المؤلفة في "الرحلة الأصعب" هو ضمير المتكلم كما هو الحال في "رحلة جبلية"، والفرق بينهما أنها كانت في رحلة جبلية تعتمد اعتماداً كاملاً على ضمير المتكلم المفرد، مما جعل حضورها مركزياً في السيرة، أما في الرحلة الأصعب فنستطيع أن نلاحظ حضوراً لضمير جماعة المتكلمين<sup>3</sup>، في قولها: « تشرف بنا الحافلة على أطراف غزة، وفيما قلوبنا تخفق تطلعا إلى لقاء الأحباب، تفاجئونا وتتصدى لنا قوة إسرائيلية لتردنا على أعقابنا خاسرين: ارجعوا، ممنوع الدخول!»<sup>4</sup>، فضمير الجماعة هنا يعود على الشعب الفلسطيني كافة.

وفي الجزء الثاني من سيرة فدوى "الرحلة الأصعب" قل اعتماد المؤلفة على اللغة الشعرية، إذ أصحت تعتمد على لغة الجدل والحوار والحجاج العقلي من أجل إقناع الآخرين بقضيتها، والمؤلفة تنقل الحوار الذي دار على أرض الواقع باللغة العامية إلى اللغة الفصيحة، والرحلة الأصعب حافلة بالاقتراسات الشعرية من شعر المؤلفة، وغيرها من

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص15.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص33.

<sup>3</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص177.

<sup>4</sup>- فدوى طوقان: الرحلة الأصعب، ص61.

## الفصل الثاني: بلاغة السرد وجماليته الخطابية في سيرة فصول طوقان الصائبة

الشعراء العرب واليهود<sup>1</sup>، تقول فدوى: « واستحضرت ذاكرتي آنذاك مقطعا محتشدا بالشعب لإحدى قصائد أبي نواس:

يا دار ما فعلت بك الأيام  
ضامتك والأيام لا تُضامُ  
عزم الزمان على الذين عهدتهم  
بك قاطنين وللزمان عَرامُ<sup>2</sup>.

وفي قولها كذلك على لسان مردخاي أبي شاول الأديب اليهودي (شاعر ومترجم):

« بصمت، وجنبا لجنب  
في ظل "عيبال" المتقد

دممة بعيدة

أمواج الكذبة تتنكر للفجر<sup>3</sup>.

والرحلة الأصعب حافلة بالرسائل التي كتبتها فدوى للآخرين أو تلقتها منهم مثل الرسالة التي تلقتها من بروفيسور ماركوز وزوجته<sup>4</sup>.

وتكثر فدوى في "الرحلة الأصعب" من استخدام أسلوب الاستفهام والاستفهام الإنكاري، إذ تقول: « وفي إحدى رسائله إلي قال سميح القاسم: " برغم كوني مدينا لك بعدة مجلات فإنني أجد نفسي المزيد من الجرأة لأطلب المزيد من المجلات، حتى لو كنت فقدت بعضها فلن تخرب الدنيا أكثر مما هي عليه من خراب؛ أنا فاقد وطننا فما خوفي على فقدان زهرة؟"<sup>5</sup>، وفي قولها كذلك: « ألم يأتيها نبأ ألوف السجناء الذين يعيشون في السجون الإسرائيلية في أقسى ظروف تمارس فيها ضدهم جميع أساليب التعذيب بما فيها الأجهزة المتطورة الحديثة في التعذيب لتحطيمهم معنويا وجسديا؟<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص178.

<sup>2</sup>- فدوى طوقان: الرحلة الأصعب، ص19.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص118.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص140.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، ص29.

<sup>6</sup>- المصدر نفسه، ص89.

خاتمة

## عائمة:

بعدها تقدم في هذا البحث من عرض ودراسة لموضوع بلاغة السرد في سيرة فدوى طوقان الذاتية، نختم هذه الدراسة بالوقوف عند أهم النتائج التي توصل إليها البحث حول جماليات السرد في سيرة فدوى طوقان الذاتية:

1- فن السيرة الذاتية النسائية من الأجناس المستحدثة (في الأدب العربي الحديث)، وقد ظهر له أشكال فنية مختلفة وذلك ما نجده في سيرة فدوى طوقان الذاتية، ففيها مزجت بين أنماط كثيرة نثر وشعر ورسائل والتعليق السياسية والمذكرات واليوميات، ورغم ذلك لم يخرج الأثر عن كونه أدبا للسير ذاتية يعكس خصوصية إبداعية نسائية فريدة من نوعها مزجت فيها فدوى بين قضايا خاصة وأخرى عامة وقوية.

2- تكمن القيمة الجمالية لعمل إبداعي معين في مدى استجابته لمتطلبات الذوق العام والخاص للمتلقي من جهة، ودرجة تطابقه للواقع واستمداده من خيال المبدع لتشكيل صورة فنية بارعة من جهة أخرى.

من حيث الترتيب السردى تعتبر سيرة فدوى طوقان من النصوص التقليدية حيث تبدأ بالاستهلال بالحديث عن الولادة والأهل والأسلاف، وتعتمد السيرة على الذكريات، وعملية التذكر ليست مجرد تذكر أحداث معينة من الماضي وسردها، بل إنها تستند إلى آليات السرد التي تسهم في تطوير فنياتها وشعريتها، أي نستخلص بلاغة سردية جديدة لأثر الإبداعي الذي بين أيدينا.

3- أما بالنسبة لعنوان السيرة فهو لا يحمل لفظ السيرة أو ما يدل عليها مثل: أنا، حياتي الأيام،...مع عدم إضافة ياء المتكلم إلى تلك الألفاظ، فالعنوان هاهنا ألصق بفدى طوقان ودلالته المستقلة تتوجه إلى العمل مباشرة.

وفي سيرة فدوى ما يدل على أنها سيرة ذاتية: مثل الدوافع المعلنة في مقدمة الكتاب، ذكر الأسماء وتاريخ الميلاد، والأصل والنسب، ومراحل التعليم، وذكر العلاقات بالشخصيات ذات المكانة الاجتماعية المعروفة، إيراد الرسائل المتبادلة، واليوميات والمفكرات... إلى جانب ذلك أن النص السير ذاتي تتوثق فيه العلاقة بين الكاتب والراوي والشخصية الرئيسية وتتحد هويتهم في اسم المؤلف الذي يظهر على الكتاب.

وفي سيرة فدوى تتداخل الساردة مع الكاتبة في المعرفة المتساوية (الرؤية مع) في نقل الأحداث، ويمتزج في سيرتها الجانبان: الجانب السياسي والجانب الإبداعي، ويحضر ضمير المتكلم باعتباره ضميرا أساسيا أو مركزيا.

4- وتكمن جمالية التوظيف الزمني في قدرة ومهارة الساردة في تنسيق الأحداث فنقلت تجاربها الحقيقية إلى مستوى الجمالية وذلك لأنها منحت لأحداث سيرتها ترتيبا زمنيا يتناسب مع اختياراتها وغاياتها الفنية، فقدمت وأخرت في الأحداث حتى تحقق غايات جمالية وذلك بتوظيفها تقنيات زمنية سردية (الخلاصة، الحذف، المشهد، الوقفة) لل غاية ذاتها.

5- وتكمن جمالية توظيف المكان في سيرتها في طريقة استرجاعه وتذكره، فإدراكه يرتبط بالانفعالات النفسية (أمكنة ألفتها فدوى وأمكنة غير مرغوب فيها)، فالمكان هاهنا لا يمكن أن يدرك إدراكا هندسيا ماديا.

6- أما عن جمالية اللغة في سيرة فدوى طوقان فيمكن أن نقول أن لكل مبدع طريقته في استخدامها ليخرجها في صورة فنية إبداعية مميزة، فبتشخيص اللغة الأدبية الموظفة في سيرة فدوى طوقان، وتبيان خصائصها من حيث بنية مفرداتها وجملها وتراكيبها ضمن سياقها النصي، فإننا نتذوق جمالية هذه اللغة.

لقد قدمت فدوى نموذجا يوضح كيف للذات أن تتجاوز العقبات والتحديات بالإصرار والمقاومة، كما تعتبر سيرتها خير وثيقة نعود إليها لمعرفة تاريخ نضال الشعب الفلسطيني بصفة عامة والمرأة الفلسطينية بصفة خاصة، وأن نعرف تاريخ انطلاق الحركة الثقافية والإبداعية في الساحة الفلسطينية فسيرتها سيرة الأدب والتاريخ (المقاومة).

الملاحق

## نبذة عن حياة فهد طوقان:

فدوى عبد الفتاح أغا طوقان وُلدت بفلسطين، وتحمل الجنسية الأردنية، وكل المراجع تدلّ على أن ولادة فدوى في عام 1917 م، ماعدا كتاب عمر فروخ شاعران معاصران فتاريخ ميلادها فيه عام 1914 م، وقد أرسلت فدوى كتابا إلى الأديب الشاعر الناثر عيسى الناعوري بتاريخ 20 تشرين الثاني (نوفمبر) سنة 1950م، تتحدث فيه عن نشأتها وثقافتها...ولدت فدوى في نابلس لأسرة عريقة وغنية ذات نفوذ اقتصادي وسياسي<sup>1</sup>، وهي الشاعرة الأدبية.

هي ابنة عائلة عريقة، ولدت في نابلس، وعاشت عمرها ضمن تقاليد خاصة بأسرتها. نفس فدوى كانت تتوق إلى الحرية لتمارس حقها الطبيعي في الحب والحياة. فانصرفت إلى الشعر لتعبر عن طريقه عن كل خلجات نفها الحزينة<sup>2</sup>. تلقت دراستها الأولى في نابلس ولم تتح لها الظروف إتمام تعليمها الجامعي، فأكبت تسد هذا النقص بالدراسة الشخصية، وكان أخوها إبراهيم برعايته، وكان أول شعر وطني قالته عام 1938، وعكفت على قول الشعر بعد وفاة أخيها إبراهيم وتابعت مسيرة الشعر حتى أصبحت أشهر شاعرات فلسطين، ولعلها أشهر شاعرات العالم العربي، توفيت فدوى عام 2004<sup>3</sup>، والتحقّت بدورات لتعليم اللغة الإنجليزية مكنتها من مطالعة الأدب الإنجليزي، وتأثرت بصورة خاصة بأدب المهجر الشمالي.

وعلى مدى خمسين عاما أصدرت الشاعرة ثمانية دواوين شعرية هي وحدي مع الأيام (1952)، وجدتها (1957)، أعطنا حبا (1960)، أمام الباب المغلق (1967)، الليل والفرسان (1969)، على قمة الدنيا وحيدا (1973)، تموز والشيء الآخر (1989) واللحن الأخير (2000)، ونشرت الأعمال الشعرية الكاملة في عام 1993، وصدرت سيرة فدوى

<sup>1</sup>- أمل التميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب المعاصر، ص46/45.

<sup>2</sup>- غريد الشيخ: فدوى طوقان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ص7.

<sup>3</sup>- محمد محمد حسن شراب: شعراء فلسطين في العصر الحديث، ط1، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان، 2006، ص307.

طوقان الشهيرة في جزأين: الأول رحلة جبلية صعبة 1985، وفيه تروي تفاصيل طفولتها و شبابها ونضوج تجربتها الشعرية وتنتهي بالاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية في حزيران 1967، والجزء الثاني من سيرة فدوى بعنوان الرحلة الأصعب 1993، وفيه تروي عن حياتها وشعبها خلال سنوات الاحتلال الإسرائيلي<sup>1</sup>.

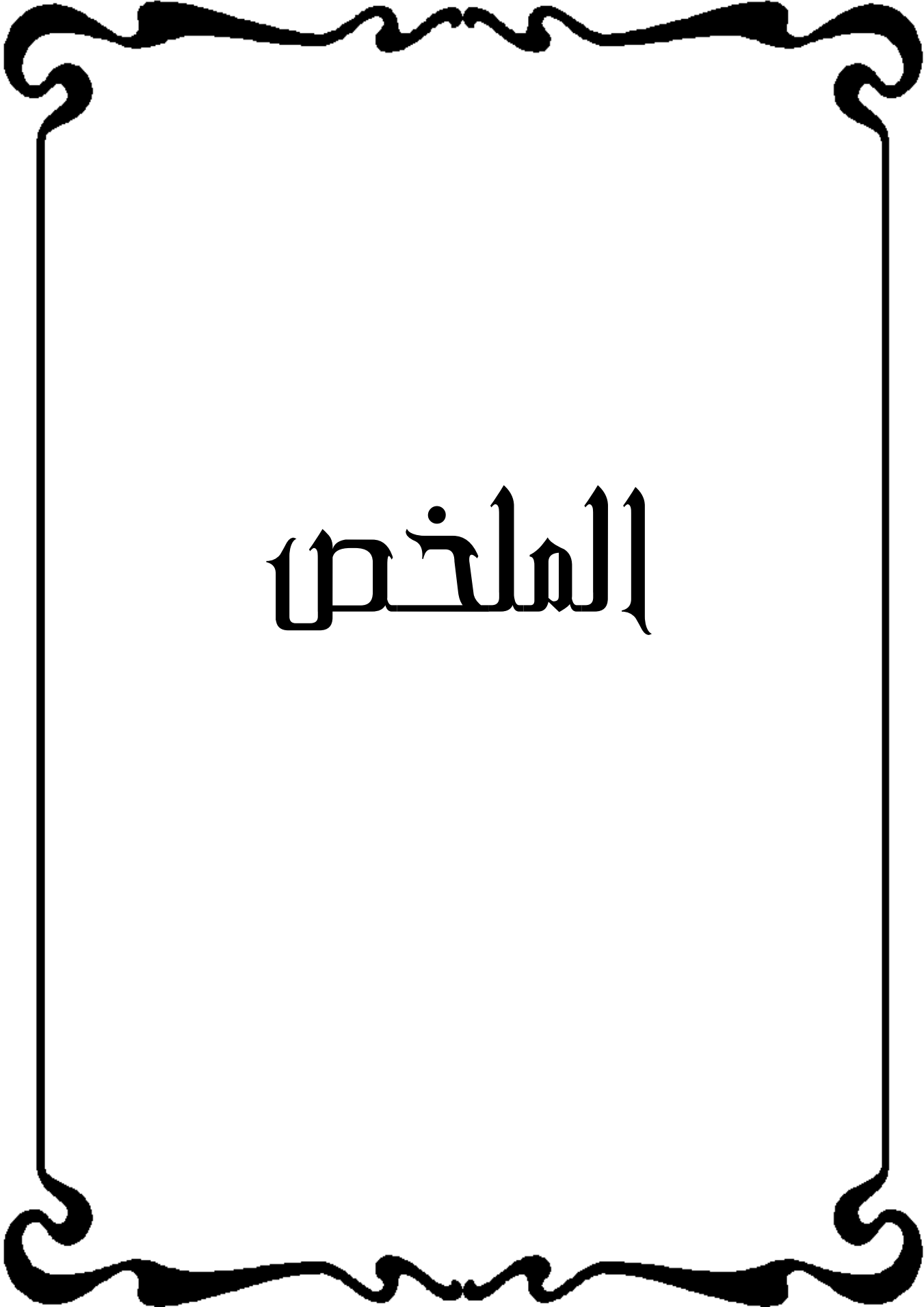
وقد كتبت فدوى شعرها باللغة العربية، لكن منتخبات من هذا الشعر وجدت عناية المترجمين الذين نقلوها إلى لغات أخرى كالإنجليزية والفارسية، فقد ترجم الدكتور إبراهيم داود منتخبات من شعرها إلى الإنجليزية بعنوان: **Selected Poems of Fadwa Auqan**، وترجم علي رضا نوري قصائدها إلى الفارسية في كتابه "حماسة فلسطين"، وترجم الدكتور غلام يوسف، والدكتور يوسف بكار قصيدة "وجدتها" إلى الفارسية في كتاب "كزيدة"<sup>2</sup>.

حصلت فدوى على عدد كبير من الجوائز من بينها جائزة الزيتونة الفضية الثقافية من إيطاليا 1978، وجائزة درع الريادة الشعرية من الأردن، وجائزة سلطان العويس من الإمارات العربية المتحدة، ووسام القدس، وجائزة مؤسسة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري من الكويت 1994، وجائزة المهرجان العالمي للكتابات المعاصرة من إيطاليا 1992، وجائزة كافافيس الدولية للشعر من القاهرة 1996، وصدرت عن فدوى طوقان تسع دراسات أكاديمية للماجستير والدكتوراه في عدد من الجامعات العربية والأجنبية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- أمل التميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب المعاصر، ص46.

<sup>2</sup>- تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية النسائية في الأدب المعاصر، ص47.

<sup>3</sup>- أمل التميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب المعاصر، ص47.



# المُلخَص

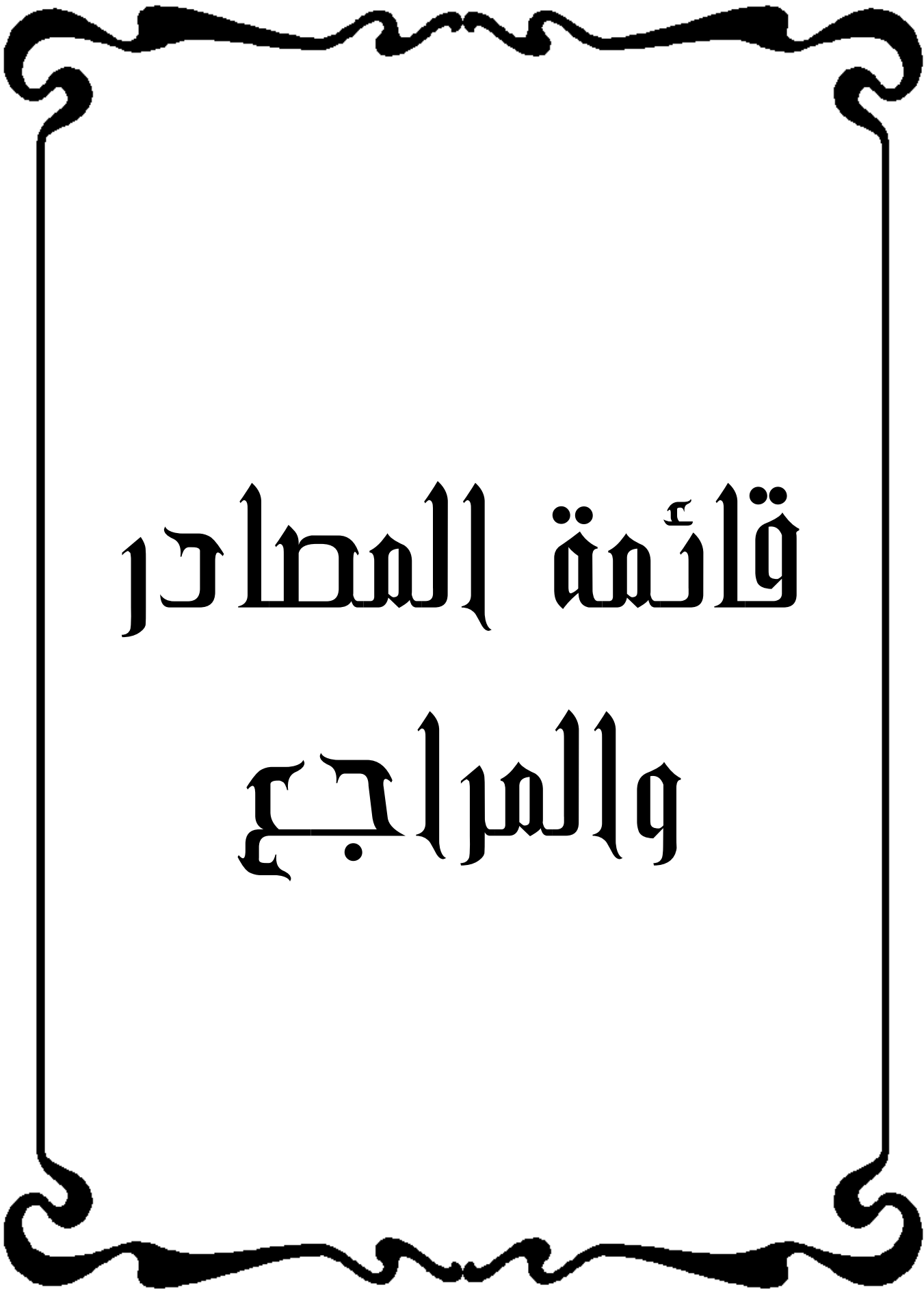
أولاً: باللغة العربية:

يتناول موضوع الدراسة البحث عن بلاغة السرد في سيرة فدوى طوقان الذاتية، فاليسرة تعتمد على الذكريات، وعملية التذكر ليست مجرد تذكر أحداث معينة من الماضي وسردها بل إنها تستند إلى آليات السرد التي تسهم في تطوير فنيتها وشعريتها. وقد تأسست خطة البحث على مدخل تمهيدي وفصلين ثم خاتمة تضمنت نتائج الدراسة، وتضمن المدخل مفهوم السيرة وأنواعها وعوامل ظهورها وتطورها (السيرة الذاتية النسائية) وخصائص الكتابة السير ذاتية. أما الفصل الأول فتطرقتنا البحث فيه إلى مفهوم السرد ومكوناته ووظائفه التقنية، وخصص الفصل الثاني والذي و الذي ضم مبحثين أولهما في بلاغة السرد، وثانيهما في تقنيات السرد الوظيفية في سيرة فدوى طوقان الذاتية. وانتهى البحث بخاتمة تضمنت ما توصل إليه من نتائج واستخلصنا في الأخير بلاغة سردية جديدة للأثر الإبداعي الذي بين يدينا.

ثانياً: باللغة الفرنسية:

L'objet de l'étude est relative à la recherche de la rhétorique de la narration du récit dans la biographie de Fadwa TOKAN, en effet la biographie s'appuie sur les souvenirs, et l'opération de se souvenir ne se limite pas seulement au simple fait de se remémorer des événements précis du passé et de les relater, mais elle s'appuie aussi sur les modalités de récit qui contribue au développement de son art et de sa poésie. Le plan de notre étude se forme d'une introduction, de deux chapitres et d'un épilogue où est résumé les conclusions de cette étude.

L'introduction comprend la notion du récit et ses différentes variantes et les causes de son apparition (biographie féminine) et les caractéristiques de l'écriture biographique. Dans le premier chapitre, il est question de la notion du récit, ses composantes, et ses fonctions techniques. Le second chapitre comprend deux parties, le premier est relatif à la rhétorique du récit, la seconde à techniques structurelles de la narration dans le récit biographique de Fadwa TOKAN. La recherche se termine par un épilogue qui contient les résultats de nos recherches et nous avons conclu à la fin à une rhétorique narrative nouvelle à l'effet intonative qui entre nos mains.



قائمة المصادر  
والمراجع

## أولاً: القرآن الكريم

القرآن الكريم برواية ورش.

## ثانياً: المصادر

- 1- ابن منظور: لسان العرب، ج6، ط1، دار الأبحاث، الجزائر، 2008.
- 2- الفيروز آبادي الشيرازي الشافعي: القاموس المحيط، ج2، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1995.
- 3- محمد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، د/ط، دار الفضيلة، القاهرة، 2004.
- 4- فدوى طوقان: الرحلة الأصعب، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993.
- رحلة جبلية رحلة صعبة، ط4، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2009.
- 5- غريد الشيخ: فدوى طوقان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994.

## ثالثاً: المراجع

- 1- أمل التميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.
- 2- إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية لرواية جهاد المحبين (جرجي زيدان نموذجاً)، ط1، دار الآفاق، الجزائر، 1999.
- 3- آمنة يوسف: تقنيات السرد والنظرية والتطبيق، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية 1997.
- 4- أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، د/ط، المؤسسة الحديثة للكتاب لبنان 2005.
- 5- جابر عصفور: زمن الرواية، مهرجان القراءة للجميع، د/ط، جمعية الرعاية المتكاملة 1999.

- 6- جمال غلاب: مقاربات في جماليات النص الجزائري، ط1، اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة، 2002.
- 7- تهناني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا، وإحسان عباس، نموذجاً، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان 2002.
- 8- حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي بيروت، 1991.
- 9- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2009.
- 10- حسن نجمي: شعرية الفضاء السردي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2000.
- 11- سعيد يقطين: الكلام و الخبر (مقدمة للسرد العربي)، ط1، المركز الثقافي العربي بيروت 1997.
- السرد العربي مفاهيم وتجليات، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008.
- قال الراوي (البنىات الحكائية في السيرة الشعبية)، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997.
- 14- سوسن البياتي، محمد صابر عبيد: جماليات التشكيل الروائي، د/ط، دار الحوار سورية د/ت/ن.
- 15- سلمان كاصد: الموضوع و السرد مقارنة بنيوية تكوينية في الأدب القصصي، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2002.
- 16- سمر روجي الفيصل: الرواية العربية، د/ط، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2003.
- 17- سيزار قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، د/ط، مطبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1989.

- 18- صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2003.
- 19- صالح معيض الغامدي: كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2013.
- 20- صلاح صالح: سرديات الرواية العربية المعاصرة، ط1، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2003.
- 21- محمد الباردي: إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، د/ط، مركز النشر الجامعي تونس 2004.
- 22- محمد محمد حسن شراب: شعراء فلسطين في العصر الحديث، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2006.
- 23- محمد صابر عبيد: مظهرات التشكل السير ذاتي قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية، ط1، عالم الكتب الحديث (إردن) الأردن، 2010.
- 24- محفوظ كحوال: الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، دار نوميديا للنشر والتوزيع، الجزائر 2007.
- 25- مراد عبد الرحمان مبروك: آليات المنهج التشكيلي في نقد الرواية العربية المعاصرة (التحفيز نموذجا تطبيقياً)، ط1، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2002.
- 26- عبد الله التوفيقى: السيرة الذاتية في النقد العربي الحديث والمعاصر - مقارنة في نقد النقد-، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إردن، 2012.
- 27- عبد الله العشي: زحام الخطابات مدخل تصنيفي لأشكال الخطابات الواصفة، د/ط دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2005.
- 28- عبد الرحيم الكردي: السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله، نموذجا)، ط1 مكتبة الآداب، القاهرة، 2007.

- 29- عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، د/ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006.
- 30- عبد القادر بن سالم: مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد بحث في التجريب وعنف الخطاب عند جيل الثمانينات، د/ط، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001.
- 30- عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، ط1، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
- 31- عمر عاشور(ابن الزيبان): البنية السردية عند الطيّب صالح البنية الزمانية والمكانية في (موسم الهجرة إلى الشمال)، د/ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- 32- عمر عبلان: في مناهج تحليل الخطاب السردية، ط1، دار الكتب الحديث القاهرة، 2011.
- 33- محمد أولحاج: بيداغوجيا تحليل الخطاب السيرة الذاتية المكونات والروافد، ط1 منشورات Top édition، 2006.
- 34- محمد بوعزة: تحليل النص السردية تقنيات ومفاهيم، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2010.
- 35- محمد الداوي: شعرية السيرة الذهنية، تقديم سعيد يقطين، ط1، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، 2008.
- الحقيقة الملتبسة قراءة في أشكال الكتابة عن الذات، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس الدار البيضاء 2007.
- 37- محمد عزّام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة دراسة في نقد النقد، د/ط، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.
- شعرية الخطاب السردية دراسة، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2005.

- 39- محمد غنيم: الشخصية، دار المعارف، القاهرة، 1984.
- 40- نصير عواد: إعادة إنتاج الحادثة دراسة تطبيقية في الكتابة السير ذاتية، ط1، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، 2009.
- 41- يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ط ، دار الفارس، بيروت لبنان، 1999.

### رابعاً: الكتب المترجمة

- 1- جيرار جينيت وآخرون: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التثبير، تر: ناجي مصطفى، ط1، منشورات الحوار الأكاديمي الجامعي، 1989.
- 2- فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق و التاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1994.
- 3- والاس مارتن: نظريات السرد الحديثة، تر- حياة جاسم محمد، د/ط، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 1998.
- 4- يان مانفريد: علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، تر- أماني أبو رحمة، د/ط، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2011.

### خامساً: المجلات والدوريات

- 1-صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، د/ط، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992.
- 2- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، د/ط، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.

### سادساً: الأطروحات الجامعية

- وسيمة مزدوات: الاستعارة الروائية دراسة في بلاغة السرد، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2012.



فہرس  
الموضوعات

الصفحة	المحتويات
أ-هـ	مقدمة
20/6	<b>الفصل التمهيدي:</b> <b>مفهوم السيرة الذاتية وعوامل تطورها</b>
12/7	1- مفهوم السيرة
7	أ- لغة
9	ب- اصطلاحاً
13	2- أنواع السيرة الذاتية
13	أ- السيرة الموضوعية
13	ب- السيرة الذهنية
13	ج- السيرة الذهنية الموضوعية
13	3- دوافع الكتابة عن الذات
13	أ- دوافع عقلانية منطقية
13	ب- تقديم شهادة
14	ج- دوافع عاطفية
14	د- إيجاد معنى لوجوده
15	4- السيرة الذاتية النسائية في العصر الحديث: عوامل ظهورها و تطورها
18	5- خصائص كتابة السيرة الذاتية
18	أ- الاستنكار و الذاكرة
18	ب- السرد و الأسلوب
19	ج- الحوار و الاستبطان الذاتي
19	د- الفضاء الزمكاني في الخطاب السير ذاتي
20	هـ- الطابع الانتقائي
20	و- تأثير الحقل الثقافي و رؤية الواقع الاجتماعي
20	ي- حضور الآخر في الخطاب السير ذاتي

35/21	<b>الفصل الأول:</b> <b>مفهوم السرد ومكوناته الوظيفية</b>
20/22	أولاً- مفهوم السرد
22	أ- السرد لغة
22	ب- السرد اصطلاحاً
26	ثانياً- التيارات السردية وأنواعها
26	أ- التيار الأول
26	ب- التيار الثاني
29	ثالثاً- الأساليب السردية
29	أ- الكلام المباشر
29	ب- الكلام غير المباشر
29	ج- الكلام الحر المباشر
29	د- التقرير السردى لأفعال الحديث
30	هـ- الكلام الحر غير المباشر
31	رابعاً- الرؤية السردية
35/33	خامساً- مكونات السرد ووظائفه التقنية
91/36	<b>الفصل الثاني:</b> <b>بلاغة السرد وجماليته الوظيفية في سيرة فدوى طوقان المنازلة</b>
39/37	أولاً- في بلاغة السرد
40	ثانياً- السرد وجماليته في سيرة فدوى طوقان
47/40	1- مجرى الأحداث وواقعيتها
62/48	2- جمالية حضور الشخصيات
48	أ- مفهوم الشخصية
49	ب- الشخصية الحكائية
50	ج- أشكال التقديم: أشكال تقديم الشخصية
50	د- المتكلم في الحكى

52	هـ- مظاهر الشخصية
53	و- مركزية الأنا في سيرة فدوى طوقان الذاتية
54	ز- جمالية حضور الشخصيات في رحلة جبيلة رحلة صعبة
59	ي- جمالية حضور الشخصيات في الرحلة الأصعب
85/63	3- آلية التوظيف الزمكاني وفنياته
63	3-1- مفهوم الزمان
63	أ- لغة
63	ب- مفهوم زمن السرد اصطلاحاً
78/67	ج- إيقاع السرد/ الزمن من حيث البطء و السرعة
78	3-2- مفهوم المكان
78	أ- المكان لغة
78	ب- اصطلاحاً
81	ج- أنواع الفضاء المكاني
82	د- آلية توظيف المكان في سيرة فدوى
91/86	4- آلية توظيف اللغة الساردة
86	أ- لغة
86	ب- اصطلاحاً
87	ج- اللغة الحوارية
87	د- لغة المناجاة
88	هـ- آلية توظيف اللغة الساردة في رحلة جبيلة رحلة صعبة
90	و- آلية توظيف اللغة الساردة في الرحلة الأصعب
93	خاتمة
97	الملاحق
99	الملخص
105/101	قائمة المصادر والمراجع
109/107	فهرس الموضوعات